وحي الله وخيال الإنسان

وحي الله
و
خيال الإنسان

د. القس إكرام لمعي

دار الثقافة


وحي الله
و
خيال الإنسان
د . القس إكرام لمعي
دار الثقافة

طبعة أولى

وحى الله وخيال الإنسان

صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

١٠/ ٨٥٠ ط١/١-١/٢٠٠٠

رقم الإيداع بدار الكتاب: ١٦٣٩٤/ ٢٠٠٠

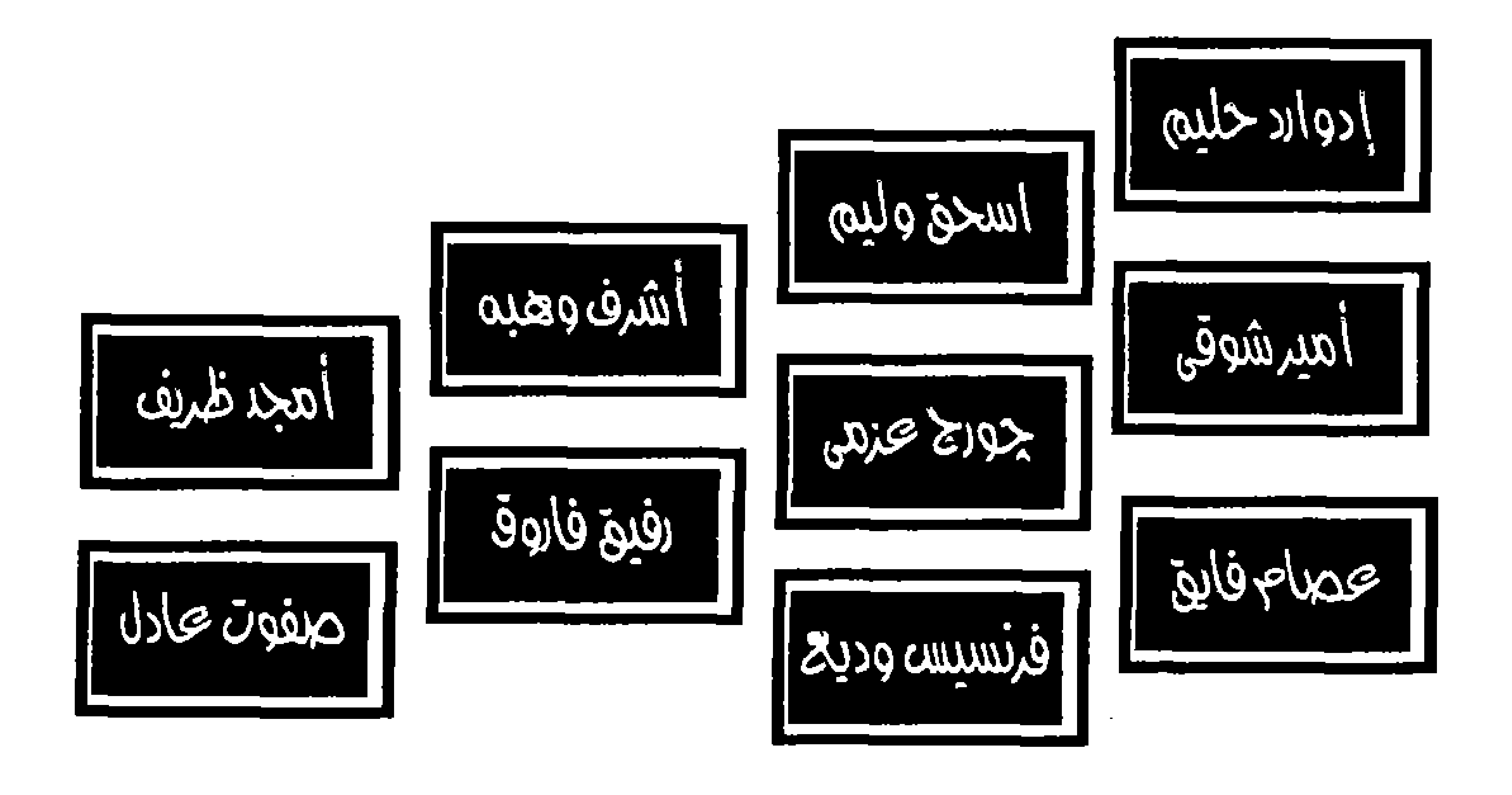
I.S.B.N. 977 - 213 - 551 - 5

جمع وطبع بمطبعة سيوبرس

تصميم الغلاف: **إخلاص مطر**



إلى أبنائى خريجى كلية اللاهوت دفعة مايو ١٩٩٩



الذين أثبتوا أن الحكمة والرجولة ليست بكمّ السنين التى يحملها المرء على كتفيه وإنما بالبيئة والأصالة والنوعية .

د.ق. إكرام لمعى

مقدمة الدار

تفسير الكتاب المقدس أصبح يواجه تحديات كثيرة فى عصرنا الحاضر ، فتعددت المدارس التفسيرية وتضاربت الاتجاهات .

ولهذا نلمس فى هذا الكتاب أن المؤلف أراد أن يضع أسساً علمية ومنطقية وإيمانية لمحاولة فهم كلمة الله فى الكتاب المقدس مرتكزاً على وحدة هدف الله وأصل معانى الكلمات فى لغاتها الأصلية وثقافة المجتمع التى حدثت فيها الأحداث وتصورات الإنسان التى تنمو معه من خلال هذه الثقافة .

ونحن نجد فى هذا الكتاب أن المؤلف وهو الكاتب المعروف الدكتور القس إكرام لمعى ينحو منحى جديداً متطوراً متعمقاً لكى يرسى مبادئ ثابتة مرتكزة على الموضوعية لفهم كلمة الله .

دار الثقافة

المحتويات

مقدمة

لماذا يشكو عدد غير قليل من البشر من عدم فهمهم للكتاب المقدس ؟ بل ولماذا نجد من يقرأ الكتاب المقدس بهدف أن يُخرج منه متناقضات وأخطاء علمية ؟ أو لكى يطعن فى مصداقية الكتاب وعصمته ؟ ترى هل المشكلة فى الكتاب ؟ هل الكتاب يصعب فهمه ؟ هل الكتاب مضى زمنه ؟ أم أن المشكلة فى القارئ وفى خلفيته الثقافية ومفهومه عن الوحى ؟.

يقرأ البعض الكتاب المقدس وفى ذهنهم فكرة الوحى الميكانيكى والذى فيه يعتقدون بأن الله قد أوحى للكاتب بكل كلمة وحرف دون استخدام ثقافة وخلفية هذا الكاتب ، أى أن الله قد ألغى شخصية كاتب الوحى تماماً ، وجعله يكتب أموراً تفوق عقله أو لم تُكتشف بعد ، أو حتى تفوق قدراته الثقافية والعلمية كأحاديث عن كروية الأرض أو حركة البخار أو البترول .. الخ .

ويقرأ البعض الآخر الكتاب المقدس وهم يعتقدون بأن الله أوحى بالفكرة فقط للكاتب ، ثم ترك الكاتب يعبِّر عنها من خلال ثقافته وتكوينه ومستواه العلمى ، وهذا الرأى يعطى انطباعاً بوجود أخطاء ولا يستبعدها ، لأن صياغة الوحى تتوقف على الكاتب وليس على الله . وهذه المدرسة مناقضة تماماً لمدرسة الوحى الميكانيكى .

أما البعض الثالث ، فقد ذهب إلى أن الوحى لا يتكون فقط من طرفين : الله ، الذى يوحى ، والرسول الموحى إليه ، ولكن هناك طرفاً ثالثاً هو القارئ . والقارئ للوحى هو الذى يحدد الكلمات الموحى بها من خلال فهمه للنص ، فإذا فهم القارئ النص صار وحياً بالنسبة له ، أما إذا كان النص غير مفهوم بالنسبة له فهو غير موحى به ، وهنا يدخل القارئ فى تحديد كلمات الوحى كطرف ثالث .

أمـا البعض الأخيـر فيؤمن بان الله يوحى للكاتب بالمعنى واللفظ مـعاً ، لكنه فى نفس الوقت يستخدم ثقافته وخلفيته ، فالنبى وهو يكتب يعبِّر عن فكر الله من خلال شخصيته فهو لا يشعر أن الكلام غريب عليه أو فوق مستواه ، « لوغاريتمات غير مفهومة » ، لكنه يحس أن الكلمات خارجة منه بإرشاد من الله ، فى الوقت الذى فيه يحميه الله من الزلل أو الخطأ فى توصيل فكر الله إلى القارئ ، فهو يرشده للكلمات المناسبة التى تعبِّر عن الفكرة ، والكاتب هنا لا يشعر بضغط معين عليه ، أو بظواهر غريبة من حوله ، بل يكتب فى سلاسة ويسر معبراً عن ذاته من خلال الله الموجود داخله بفكر إلهى واضح الملامح لشعبه .

واليوم وبعد مرور ما يزيد عن ألف وخمسمائة عام على ظهور الكتاب المقدس أو تجميعه ، مازال كثيرون يتناولونه بأسلوب أبعد ما يكون عن الهدف من وجوده ، ولأجل ذلك ظهرت مفارقات عجيبة فى فهم وتفسير الكتاب المقدس . إن الاختلاف على عقيدة ما لا يأتى فقط بسبب اختلاف كل طرف على تفسير جزء معين يتناول هذه العقيدة ، ولكن الخلاف أيضاً يكمن فى اتجاه كل طرف نحو الكتاب المقدس . وهكذا ظهر الخلاف الحاد حول عقائد أساسية مثل الاختيار أو الملك الألفى أو الفرائض .. وهكذا .

والحقيقة التى يجب ألا تغيب عن أذهاننا هى أنه لا يجب أن نقرأ الكتاب المقدس ككتاب واحد ، فالكتاب مكتبة ضخمة متكاملة تحتوى على كتب تاريخ وأخرى للشعر وثالثة للحكمة والنبوة ... وهكذا . والخطأ الذى يقع فيه الكثيرون هو أنهم يقرأون كتب الشعر ويفسرونها كما يقرأون كتب التاريخ وبنفس أسلوب التفسير ، مما يوقعهم فى أخطاء أساسية فى أسلوب الفهم والاستيعاب . وليس ذلك فقط فقرائتنا للموعظة على الجبل مثلاً ومحاولة فهمها يجب أن يختلف عن قرائتنا لأمثال المسيح . والاثنان يختلفان عن أسلوب قرائتنا للحوارات التى أدارها المسيح مع الفريسيين والصدوقيين

وغيرهم . لذلك من الخطأ أن نأتى بنظرية واحدة للتفسير ونطبقها على كل الكتاب ، فنجد أنفسنا وقد ضاعت الحقائق من بين أيدينا ، ولم نعد قادرين على الإمساك بناصية الأمور فى فهم الكلمة المقدسة .

من أجل ذلك ظهرت مدارس كثيرة فى تفسير الكتاب المقدس ، تضع قواعد عامة لكنها لم تستطع أن تقدم الأسلوب الأمثل لفهم الكتاب المقدس بطريقة صحيحة .

وينقسم هذا الكتاب إلى بابين رئيسيين ، الباب الأول ويتكون من فصلين يتحدث الأول فيهما عن الطرق المستخدمة لتفسير الكتاب المقدس ونقدها ، أما الفصل الثانى فيتحدث عن المدرسة التاريخية اللغوية المعاصرة والتى نعتقد أنها أفضل المدارس لفهم الكتاب المقدس .

أما الباب الثانى فهو يتحدث عن رؤية لفهم الكتاب المقدس من زاوية جديدة هى البلاغة اللغوية ، وينقسم إلى ثمانية فصول .


الباب الأول
طرق متنوعة لتفسير الكتاب المقدس

الفصل الأول

مدارس التفسير

أولاً : مدرسة التفسير الرمزى :

ولقد انتشرت هذه المدرسة بقوة ما بين القرن الخامس والقرن العاشر الميلادى ، وترجع أصول هذه المدرسة إلى القرن الأول حيث جاء أغلب المسيحيين من أصول يونانية لاتينية ، بينما كان المسيحيون الشرقيون يمثلون أقلية لا تزيد عن عشرة فى المائة ، ومن هنا كانت ضرورة ترجمة كلمات المسيح إلى اليونانية واللاتينية ، وهكذا ظهرت مدرسة التفسير الرمزى لأن اليونان واللاتين أتوا من خلفية وثنية يحملون معهم قصصهم الأسطورية محاولين أن يستنتجوا منها الحكمة والموعظة . ولقد تأثر بهم فيلسوف ولاهوتى يهودى مشهور اسمه « فيلو - *Philo* » درس اليونانية ، وتعمق فى الفلسفة الهلِّينية ، وأراد أن يقدم العهد القديم بهذه الصورة ، فحاول أن يستنتج كل قصص الفلسفة من العهد القديم بالرمز ، وأن يسقط على موسى أنه أعظم فيلسوف ظهر على الأرض ، فهو أعظم من سقراط وأرسطو وأفلاطون ، هكذا جعل لكل شئ رمزاً ، فإذا كان موسى صاعداً على الجبل فيكون جبل الحكمة ، وإذا كان قد رأى العليقة فهى شجرة نار المعرفة الإلهية ، وإذا كان قد خلع نعليه فقد خلع الجهل البشرى ... الخ .

وسوف نأخذ مثالين لهذا التفسير من أغسطينوس هما : مثل وكيل الظلم ومثل السامرى الصالح .

١ - مثل وكيل الظلم والذى ورد فى إنجيل لوقا الأصحاح السادس عشر ونصه كالتالى :

« كان إنسان غنى له وكيل فوُشى به إليه بأنه يبذر أمواله . فدعاه وقال له ما هذا الذى أسمع عنك . أعط حساب وكالتك لأنك لا تقدر أن تكون وكيلاً بعد ، فقال الوكيل فى نفسه ماذا أفعل . لأن سيدى يأخذ منى الوكالة . لست أستطيع أن أنقب وأستحى أن أستعطى . قد علمت ماذا أفعل حتى إذا عُزلت عن الوكالة يقبلونى فى بيوتهم . فدعا كل واحد من مديونى سيده وقال للأول كم عليك لسيدى . فقال مائة بث زيت فقال له خذ صكك واجلس عاجلاً واكتب خمسين . ثم قال لآخر وأنت كم عليك . فقال مائة كر قمح . فقال له خذ صكك واكتب ثمانين . فمدح السيد وكيل الظلم ، إذ بحكمة فعل . لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور فى جيلهم . وأنا أقول لكم أصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الأبدية » .

وفى تفسير أغسطينوس للمثل يقول إن السيد هو الله وأن الوكيل هو النبى ، ثم يقول إن السيد هو شخص المسيح وإن الوكلاء هم التلاميذ .

والمشكلة التى تقابلنا هنا هى مشكلة مدح السيد لوكيل الظلم ، فقد ارتكب السيد هنا خطأين أخلاقيين :

١ - وافق على ما فعله الوكيل ولم يطرده ، رغم معرفته بعدم أمانته ، وهذه تعتبرعدم عدالة من السيد .

٢ - مدح السيد الوكيل ، ووصف ما فعله بالحكمة « بحكمة فعل » .

وهذا المثل يوضح أن السيد كان أسوأ من الوكيل - سواء من الناحية الإنسانية أو الأخلاقية - إذ خشى السيد أنه فى حالة طرد الوكيل فسوف يحصل على شعبية أكثر منه ، وذلك لأن الوكيل عندما سامح المديونين للسيد ببعض مديونياتهم ، ظن كل مديون أن السيد هو الذى أمر الوكيل بأن يسامحه .وهنا أصبح للسيد شهرة رجل

الخير والمعروف والإحسان ، فإذا قام السيد بعزل الوكيل اكتشف الناس أن الذى سامحهم هو الوكيل وليس السيد ، وأن سبب عزله ليس لأنه سارق لكن لأنه تعاطف مع الفلاحين الفقراء ، وعندئذ سوف يقبلونه فى بيوتهم ويسخطون على السيد . ولكن لأن السيد أسوأ من الوكيل وأكثر حيلة ، فلذلك رفض أن يعزل الوكيل فى هذه الظروف ، وفضَّل أن يأخذ مجداً لا يد له فيه ، ولم يكن يرغبه ، وهكذا احتفظ للوكيل بوظيفته منتظراً وقتاً آخر تكون الظروف أكثر مناسبة ليعزل الوكيل ، دون أى آثار جانبية تمس شخصه ، وهكذا نرى السيد فى صورة أخلاقية يرثى لها ، وعندما نقول إن السيد يرمز لله فنحن نسئ لله بأكبر إساءة ، ومن هنا نستطيع أن نكتشف كيف أن الرمز قد ضللنا بشكل واضح .

والمثل فى ذاته عبارة عن قصة عادية جداً لسيد ووكيل ، والعلاقة بينهما قانونية واضحة المعالم وهما لا يرمزان إلى شئ محدد . وقد استخدم السيد المسيح علاقة السيد بالوكيل فى الحياة اليومية العادية لكى يعلن لنا أن العلاقات القانونية بين غير المؤمنين تحكمها قوانين عالمية وأهداف وسياسات ، ولها أخلاقياتها الخاصة بها وأن هؤلاء الناس يتقنون لعبتهم جيداً ويتقنون تحقيق أكبر ربح لهم فى إطار القواعد المعروفة ، فهم يتصرفون بحكمتهم بدرجة امتياز . ويتساءل المسيح ترى ما هى درجة إتقان المؤمنين لعملهم وخدمتهم فى إطار العلاقات والقوانين والأخلاقيات التى تحكمهم ؟ وفى النهاية ركز السيد المسيح على عامل الأمانة ، وأهمية أن نكون أمناء فى حياتنا .

٢ – مثل السامرى الصالح والذى ورد فى إنجيل لوقا الأصحاح العاشر ٢٥ – ٣٧ ونصه كالتالى :

« كان إنسان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعرّوه وجرَّحوه ومضوا وتركوه بين حى وميت . فعرض أن كان كاهناً نزل فى تلك الطريق فرآه وجاز

مقابله . وكذلك لاوى أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله . ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ولما رآه تحنن فتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابتــه وأتى به إلى الفندق واعـتنى به . وفى الغـد لما مـضى أخـرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال له اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك . فأى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذي وقع بين اللصوص » .

ولقد فسر أغسطينوس المثل بالطريقة التالية :

أورشليم	:	ترمز إلى السماء أو الجنة .
أريحا	:	ترمز إلى الجحيم .
اللصوص	:	يرمزون إلى البرابرة المهاجمين للدولة الرومانية
الكاهن	:	الكنيسة اللاتينية .
اللاوى	:	الكنيسة المنشقة .
الزيت	:	يرمز إلى الروح القدس .
السامرى الصالح	:	يرمز إلى الرهبنة .
الخمر	:	يرمز إلى العشاء الربانى .
بين حى وميت	:	بين الخطية والعالم .
الدابة	:	ترمز إلى شخص المسيح .
الفندق	:	يرمز إلى الكنيسة .
صاحب الفندق	:	بولس الرسول
الدرهمان	:	العهد القديم والعهد الجديد .

وعندما كانت الشيوعية فى قمتها ظهر التفسير التالى :

اورشليم	المجتمع الإنسانى البدائى بلا طبقات (مجتمع الفطرة) .
اريحا	المجتمع الرأسمالى والإقطاعى حيث الطبقية وظلم الإنسان لأخيه الإنسان .
الإنسان النازل	البشرية المنحدرة من مجتمع الفطرة (العدالة الاجتماعية) إلى مجتمع الطبقية والرأسمالية .
اللصوص	الإقطاعيون والأمراء .
الكاهن	الدين الذى فشل فى إيجاد حل اقتصادى للإنسان المطحون .
اللاوى	الاشتراكية التى حاولت إيجاد حل وفشلت .
السامرى الصالح	كارل ماركس صاحب النظرية الشيوعية .
الزيت	الفلسفة المادية .
الدابة	الطبقة العاملة .
الفندق	ديكتاتورية البروليتاريا أو الحزب .
صاحب الفندق	مسئول الحزب .
الدرهمان	المنجل والمطرقة.
الوعد بالرجوع	الوصول إلى كل طبقات الشعب الكادحة .

وهكذا يستطيع صاحب أى نظرية أن يدخل على هذا المثل ويفسره رمزياً كما يشاء ، فيمكن القول بأن أورشليم هى الجنة ، وأريحا هى العالم ، واللصوص هم

الخطية والعالم وإبليس ، والكاهن هو الكنيسة التقليدية ، واللاوى هو الكنيسة المصلحة ، ثم يأتى دور السامرى الصالح غريب الجنس ليضع فيه صاحب النظرية من يريد وكيفما يريد . وإذا فهمنا الكتاب بهذا الأسلوب الرمزى ، ضاع الكتاب من بين أيدينا دون عودة .

ثانياً : مدرسة التفسير المبنى على التفتح والتغمض :

وأتباع هذه النظرية يؤمنون بأن نبؤات الكتاب المقدس عندما أعلنت كانت غامضة لا يدرك النبى الذى قالها شيئاً منها، وهى ما تسمى بفترة التغمض . ثم جاء الوقت – وهو الآن – لكى تتفتح النبوة ونفهمها على أصولها . وهم يقولون : لنفهم الرؤيا الآن . وهكذا يجتهدون فى تفسير النبوات والرموز ، فرقم الوحش ٦٦٦ والمذكور فى سفر الرؤيا الأصحاح الثالث عشر يفسرونه مرة على أنه جمال عبد الناصر ، وأخرى هتلر، وثالثة ريجان .. وهكذا . وعندما كان ريجان رئيساً للولايات المتحدة تحدثوا عن أن حرب هرمجدون التى ينتهى بها العالم ستكون بين الاتحاد السوفيتى وإسرائيل ، وأن ريجان سيموت ويقوم ثانية ، وان القيامة ستكون يوم ٨٤/٤/٤ . وعندما لم يحدث شئ فى التاريخ الذى حددوه قاموا بتحديده مرة ثانية فى عام ١٩٨٨ ، وكلما فشل تاريخ يحددون غيره وهكذا . ثم يشيرون إلى آية يزعمون أنها تشير إلى كامب ديفيد ، وأخرى إلى حرب الخليج . ويستمرون فى فتح أو تفتيح أسفار حزقيال ودانيال ، والفكرة الأساسية لديهم هى أنه حتى يوحنا الرائى لم يفهم شيئاً من الرؤيا التى رآها ، وحتى الشعب الذى أُرسل إليه السفر لم يفهمه ، ويجب أن نفتح السفر اليوم أى بعد ألفى عام من كتابته . وهذه المدرسة تختلف عن مدرسة التفسير الرمزى والتى تؤمن بأن الرمز يمكن أن يكون مفهوماً بطريقة أخرى عند النطق بالنبوات وأثناء الأحداث ، أى لم يكن غامضاً على من تحدثوا به لكن لا يمنع هذا من اتفاقهم على أساس التفسير الرمزى للكتاب المقدس .

ومشكلة هذه النظرية تتلخص فى ثلاثة أمور :

الأول : عدم معقولية الأساس الذى بُنيت عليه هذه النظرية بمقولة إن النبى لا يفهم ما يتحدث عنه ، وأن الرؤيا كانت مغلقة عليه بل ومغلقة على الشعب الذى أُرسل إليه السفر ، وأن هذا السفر يتضح بعد ألفى عام . وكأننا نقول إن إشعياء لم يفهم ، كما أن يوحنا الرائى لم يدرك ما قيل له ، وهذا غير معقول وغير مقبول ، فكل نبوة لها معنيان ، الأول فى العصر الذى يوجد فيه النبى ، والثانى هو تطبيق معنى النبوة فى أجيال أخرى كمعانٍ روحية وليس كأحداث حرفية . فليس من المعقول أن يلجأ شعب ما إلى الله فى أزمة معينة يعيشها ، فإذا بالله يوحى إليهم بما سيحدث بعد آلاف السنين مع أناس آخرين وفى أجيال أخرى وعن أحداث لا تهمهم .

الثانى : إن التابعين لهذه النظرية لم يتنبأوا مطلقاً عن أحداث سوف تقع ووقعت ، فهم لم يتنبأوا عن أحداث كامب ديفيد قبل أن تحدث ولكن عندما حدثت بحثوا عن آيات تتحدث عنها . وهم لم يتنبأوا عن حرب الخليج ، ولكن عندما وقعت اجتهدوا فى الوصول إلى آيات تتحدث عنها ، بل وكل تحديداتهم عن نهاية العالم باءت بالفشل. والتحدى الذى نضعه أمامهم هو أن يفسروا لنا نبوة لم تقع بعد ثم يشيروا إليها عند تحقيقها .

الثالث : إنه عند فشل تواريخ نهاية العالم كما تحددها هذه المدرسة ، يوجَّه الطعن والتكذيب للكتاب المقدس وليس للمدرسة ذاتها ، وهذه كارثة .

ثالثاً : مدرسة التفسير الذاتى (أو الداخلى) :

ويطلق عليها البعض التفسير الكهربائى ، وهذه المدرسة تعتمد على التفسير الشخصى للكتاب المقدس ، وهى نوع من تدخل القارئ فى الوحى الإلهى ، فالكتاب المقدس يتحول إلى وحى شخصى حسب ظروف الشخص ، فيتكلم الله إليه مباشرة

من خلال آيات وكأن هذه الآيات كتبت إليه خصيصاً . ونحن هنا لسنا ضد المعانى الروحية التى يستخرجها الشخص من النصوص المقدسة ، وأيضاً لسنا ضد المواعيد الإلهية للمؤمنين ، لكن هذه المدرسة تتعدى كل هذه لتضع ظاهرة فوق طبيعية ، من خلالها يوحى للشخص عن طريق إعلان أو رسالة إلهية مباشرة من فم الله يفسر فيها الكتاب المقدس بأسلوب يختلف عن كل الأساليب التى فسرت وقصدت بها كلمات الكتاب ، فهى تفسير خاص بحالة خاصة بوحى خاص ولا تصلح إلا للشخص موضوع الرسالة أو الإعلان . فالشخص يجلس أمام الكتاب وسط مجموعة من المؤمنين يحكى ظروفه أو مشكلته ثم بعد الصلاة يفتح الكتاب ليجد الحل الأمثل للمشكلة أو رأى الله فى المشكلة ، أو يصلى له شخص آخر وتأتيه رسالة من خلال كلمات الكتاب المقدس ، ثم يفسر الآيات بصورة شخصية جداً . فمثلاً عندما يفتح الكتاب مصادفة على الكلمات : « أما دانيال فوضع فى قلبه ألا يتنجس ... » ، فهذا يعنى فى إحدى المشكلات أن لا يتزوج الشاب من الفتاة المعجب بها والتى تتميز بالجمال ، وعندما يقول المسيح : « لا تخف آمن فقط » فهذا معناه أن المسافر الغائب سيعود .. الخ .

ولا شك أن هذا الأسلوب فى التفسير بعيد كل البعد عن الفهم الحقيقى لكلمة الله ، ثم إنه ينحرف بكلمة الله ، ويحدّها فى رسائل لأفراد ، يفسرها أفراد فى الغالب لا يفهمون الكلمة جيداً .

رابعاً : مدرسة التفسير التقليدى أو الحرفى :

وهذه المدرسة تعتمد على حرفية النص والتفاسير الكتابية الموروثة دون إقامة حوار حى بين التفسير الحرفى والعصر الحاضر ، فمثلاً يفسرون آيات « لتصمت نساؤكم فى الكنيسة » أو « المرأة فلتغطى شعرها » تفسيراً حرفياً ، دون فهم الخلفية التاريخية للنص ، ففى نفس الأصحاح الذى يتحدث فيه بولس عن صمت النساء

يتحدث عن « إن كانت المرأة تصلى أو تتنبأ » ، وأيضاً عندمـــا يتحدث عن الصمت يقول :« وإن أردن أن يسألن أزواجهن فليسألن فى البيت » . فبولس يطالب النساء بالصمت لأجل النظام فى الكنيسة ، فقد كانت المرأة فى ذلك الوقت تسأل زوجها بصوت عال أثناء العبادة عن ما لا تفهمه من كلمات الواعظ ، مما يثير ضجة ، فى الوقت الذى فيه لا يرفض بولس الرسول أن تقوم المرأة بالتنبؤ أثناء العبادة ولكن بنظام وهدوء . وأيضاً تحدد هذه المدرسة المواهب الروحية بما نص عليه الكتاب المقدس فقط دون محاولة لإدراك اتساع فكر الله واختلاف العصر مما يتطلب مواهب روحية جديدة ومتجددة مع مفاهيم جديدة لاستخدام المواهب واتساعها ومدى استخدام وسائل الإعلام اليوم ، فبولس مثلاً لم يذكر موهبة الترنيم والموسيقى مع أهميتها .

وهؤلاء الناس لا يحاولون أن يفهموا الكتاب بصورة حية تتحدث إلينا هنا والآن ، ومثال على ذلك معنى الفقر فى الكتاب المقدس وتطور فكرة « كان كل شئ بينهم مشتركاً » ، وغسل الأرجل وكيفية تطبيقها اليوم ، وغيرها الكثير ، فهم يريدون أن يطبقوا الكتاب حرفياً كما كان الحال فى الكنيسة الأولى دون محاولة لفهم جديد لمثل هذه الأمور ، إنهم يبكون على القديم ويحاولون إعادته بقوة .

خامساً : مدرسة التفسير الأخلاقى :

وهذه المدرسة حولّت الكتاب المقدس إلى كتاب أخلاقيات فقط ، ولذلك هم يفسرون كل واقعة وكل مثل وكل تعليم تفسيراً أخلاقياً ، فيستخرجون من كل قصة مبادئ الحب أو الرحمة أو العدل ... الخ . دون النظر إلى المبادئ الإنسانية أو اللاهوتية الأخرى والتى تحفل بها كلمة الله ، فمثلاً قصة داود وبثشبع والمدونة فى سفر صموئيل الثانى والأصحاحين الحادى عشر والثانى عشر والتى فيها رأى داود بثشبع تستحم على السطح فى وقت كان زوجها فى الحرب ، فاستدعاها وزنى بها ثم

قتل زوجها وتزوجها ، وأرسل الرب ناثان النبى إلى داود ليواجهه بخطيته ، وحكى له قصة الغنى الذى كان يملك غنماً وبقراً كثيراً والفقير الذى لم يكن له شئ إلا نعجة واحدة صغيرة تأكل من لقمته ، وتشرب من كأسه ، وتنام فى حضنه . فجاء ضيف إلى الرجل الغنى فعفا أن يأخذ من غنمه وبقره ليهيئ للضيف الذى جاء إليه ، فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل ، فحمى غضب داود على الرجل جداً ، وقال لناثان : « حى هو الرب أنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ، ويرد النعجة أربعة أضعاف » ، فقال ناثان لداود : « أنت هو الرجل » ، ثم واجهه كيف أن الله مسحه على إسرائيل ملكاً ، وكيف أنه بعمل الشر احتقر كلام الله ، وكيف أن عقابه سيكون أن السيف لن يفارق بيته إلى الأبد ، وأن ما فعله فى السر سيُفعل به فى العلن » ، وعندما اعترف داود بخطئه قائلاً : « قد أخطأت إلى الرب » قال له ناثان : « الرب أيضاً قد نقل عنك خطيئتك لا تموت » . وكان الحكم أن الابن المولود يموت .

هذه القصة الغنية جداً يقتصر أصحاب التفسير الأخلاقى على إخراج الدروس الأخلاقية فقط فيها سواء عن الخطية أو الانحراف أو القتل ... الخ ، وينسون أن هذه القصة تحكى لنا أن ناثان النبى وهو داخل إلى داود كان يعلم تماماً أن الملك بكل عظمته ليس فوق القانون ، بل هو أول من يخضع له ولسيادته . وهذا الفكر كان فى مملكة داود لأن الرب هو الذى يحكم ، وليس الوثن أو البعل . وهذا الفكر اللاهوتى لم يكن موجوداً فى كل الممالك المعاصرة لمملكة داود ، ولم يكن يحدث مع أى ملك آخر ، سواء فى أشور أو بابل أو أى دولة صغرت أم كبرت . إن وجود هذه القصة فى الكتاب ليس الهدف منها هو تعليمنا عدم الفساد فقط ، بل تعلمنا سيادة فكر الله والقانون على كل بشر ، والمساواة بينهم أمام الله والقانون . وهى الفكرة اللاهوتية الأساسية فى القصة والتى تدين الاعتداء على ممتلكات الآخرين مهما كانت الفروق الاجتماعية ، لأن الله يسود والجميع أمامه سواء . وتعلمنا كيف تعمل الكنيسة على تحقيق سيادة الله من خلال دعوتها إلى حقوق الإنسان ومواجهة الخطايا الاجتماعية

وخطايا الحكم ، وأن تكون الكنيسة هى ناثان العصر لكل حكم .

هذه المدرسة تحاول تبرير كل شخصيات الكتاب المقدس ، وتتفادى ضعفاتهم ، وتدور حولها ، بل وتقدمها على أنها نقاط قوة . فالخطية الكبرى لموسى عندهم أنه حطم الوصايا العشر أى انفعاله وغضبه ، وليس قتل المصرى أو زواجه من المرأة الكوشية . وخطية يوسف أنه طلب من الخباز والساقى اللذين زاملاه فى السجن وخرجا قبله أن يذكراه عند الملك ، وليست خطيئته أنه باع شعب مصر لفرعون عندما خزن القمح ، ثم اشترى كل ما للمصريين لفرعون مقابل أن يعطيهم طعاماً ، فدفع فرعون إلى الديكتاتورية المطلقة ، وكان أول من ابتدع الإقطاع فى تاريخ الإنسانية . ثم نجد هذه المدرسة تتغاضى عن أحلام وسعى داود لأن يكون ملكاً على إسرائيل عندما كان يقدم هداياه لشيوخ إسرائيل ، وعندما أخذ ميكال من زوجها ، وعندما نصب نفسه ملكاً ليهوذا فى حبرون ، وبقى يتطلع إلى إسرائيل ، وتفاهم مع أبنير الذى لم يكن على وفاق مع ايشبوشث ، ونجد هذا فى سفر صموئيل الثانى الأصحاح الثالث والأعداد من السادس حتى الثانى عشر وأيضاً الأصحاح الخامس والعدد الثالث .

ولأن منطقهم فى التفسير أخلاقى ، لذلك فهم يقرأون الكتاب بفكر متحيز دون التعمق الحقيقى فى معانى الأحداث السياسية والاجتماعية ، كما رأينا فى علاقة يوسف بفرعون أو علاقة داود بعرش إسرائيل .

إذن وبعد استبعاد كل هذه المدارس يأتى السؤال : كيف نفهم الكتاب المقدس ؟ أو كيف نقوم بتفسيره ؟ وهذا ما سوف نجيب عليه فى الفصل التالى .

الفصل الثانى

المدرسة التاريخية اللغوية المعاصرة

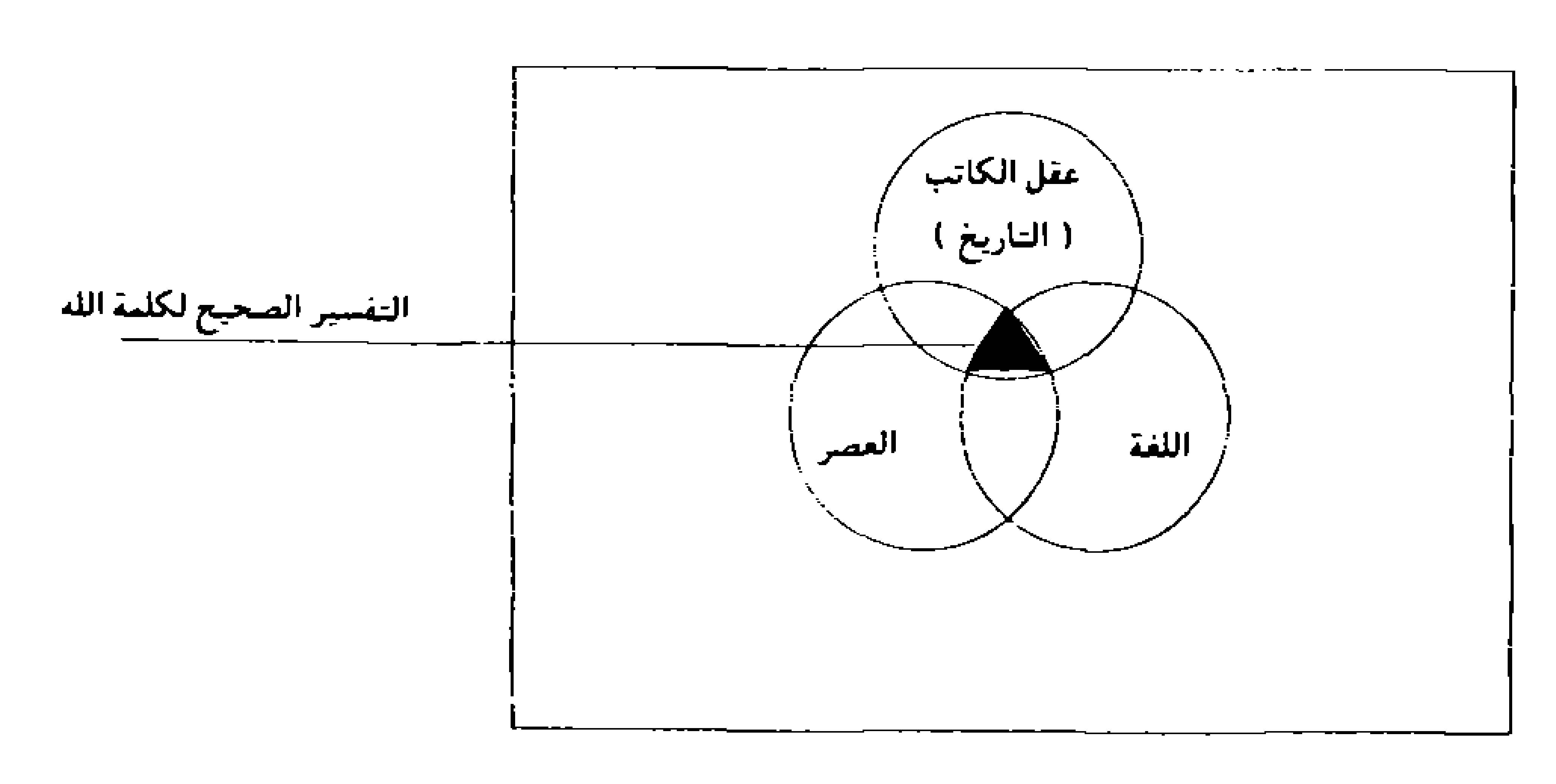
لا شك أن قراءة الكتاب المقدس من أسهل الأمور ، أما فهمه فيحتـــاج إلى بعض الجهد . والذى نحتاجه اليوم ليس مجرد القراءة ، بل الإجابة على السؤال : أتفهم ما أنت تقرأ ؟ والإجابة على هذا السؤال هى التحدى الحقيقى لكنيسة مصر فى القرن الحادى والعشرين .

لذلك نحن نحتاج اليوم - وأكثر من أى وقت مضى - إلى فهم معاصر لكلمة الله، وهذا الفهم يعتمد على إجابة ثلاثة أسئلة :

١ - ما الفكرة التى كانت فى عقل الكاتب أثناء الكتابة ؟(الخلفية التاريخية للنص).

٢ - ما هو التفسير اللغوى للكلمات ؟.

٣ - ماذا يعنى هذا بالنسبة لى هنا والآن ؟ .



سوف نتحدث في هذا الفصل عن الخلفية التاريخية ، أو ماذا كان في ذهن الكاتب أو المتحدث ؟ وأيضاً عن المعنى اللغوى ، وأخيراً عن المفهوم المعاصر لكلمة الله .

والمقصود بالخلفية التاريخية هى الحضارة الإنسانية والثقافة والعادات والتقاليد التى كانت أثناء إعلان النص الكتابى ، وما الذى كان فى ذهن الكاتب أو القائل حينئذ ؟ وما الذى فهمه المستمعون عندما سمعوا النص ؟ ولنأخذ بعض الأمثلة على ذلك ، وسوف نبدأ بخمسة أمثلة نوضح بها الخلفية التاريخية ، ونتبعها بخمسة أخرى نوضح فيها المعنى اللغوى .

أولاً : أمثلة توضيحية لمفهوم الخلفية التاريخية :

الأول : الخمر الجديد فى الزقاق الجديد :

يقول الرب يسوع « ولا يجعلون خمراً جديدة فى زقاق عتيقة لئلا تنشق الزقاق فالخمر تنصب والزقاق تتلف . بل يجعلون خمراً جديدة فى زقاق جديدة فتحفظ جميعاً » [1]

ونحن لا نستطيع أن نفهم هذا النص بدون أن ندرك من أى شئ كانت تصنع الزقاق أو أوعية الخمر فى القرن الأول الميلادى وفى فلسطين ، فلقد كانت الزقاق تصنع من جلد الماعز ، فحالما يذبح الماعز ويصفى دمه يقوم الجزار بفصل الجلد عن الجسد بنفخه بفمه من خلال فتحة صغيرة يقوم بصنعها فى إحدى قدمى الماعز المذبوح ، وبعد أن ينتفخ الجلد حول الجسد ينفصل عنه . تُقطع الرأس والأقدام ، ثم يُسحب الجسد كله من فتحة الرأس ، ثم بعد ذلك تخاط الأربع فتحات مكان الأربعة أقدام ، وتبقى فتحة الرأس لتستخدم لملء الزقاق بالخمر .

---

١ - إنجيل متى ٩ : ١٧

ماذا كان يقصد يسوع بالقول : « لا يجعلون خمراً جديدة فى زقاق عتيقة » ، ذلك لأنهم إن فعلوا ذلك - أى وضعوا الخمر الجديدة فى زقاق عتيقة - فسوف تسيل الخمر على الأرض والزقاق تتلف . والتصرف الصحيح هو أنهم يضعون خمراً جديدة فى زقاق جديدة فتحفظ جميعاً . فالخمر الجديدة مملوءة بالقوة والطاقة ، فهى تخرج كربونات وأكاسيد وغازات مما يجعل الزقاق تحتاج إلى أن تتمدد ، ولكن إن كانت الزقاق قديمة وجافة وخشنة وبها أماكن ضعيفة بسبب الحبال التى تربط بها الفتحات ، أو بسبب التخزين أو لأسباب أخرى فلن تتمدد ، وعندئذ سوف تتشقق بمجرد ملئها بالخمر الجديدة . والمعنى هنا أن يسوع جاء بتعليم جديد ، وعلى الرغم من أن العهد الموسوى قد وضع بهدف قيادة شعب إسرائيل إلى المسيا فالتحدى مازال أمامهم ، فهل لديهم الاستعداد للتغيير وقبول الفكر الجديد ؟ أو أنهم سوف يرفضونه بسبب عدم مرونتهم ، وهنا سوف يسيل الخمر الجديدة على الأرض أى لن يستفيدوا من الفكر الجديد وهم سوف يفسدون لتمسكهم بأفكارهم البالية .

وهنا نجد فكراً واضحاً لكل مستمع ، فإذا قبل المستمع الفكر الجديد ، فعليه أن يكون شخصاً جديداً أى زقاً جديداً ليحتوى الخمر الجديدة داخله ، كما شرح بولس هذا الفكر بالقول : « إذاً إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً » [1] .

وبهذا المثل كان يسوع واضحاً جداً فهو لا يريد أن يعيد تشكيل الديانة اليهودية لكنه يقدم قوة جديدة ، روح المسيحية الحقة ، ذلك لأن اليهودية أثبتت أنها غير قادرة على احتواء قوة الإنجيل الجديدة . وفى إنجيل لوقا ٥ : ٣٩ أضاف الرب يسوع للمثل القول : « ليس أحد إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد لأنه يقول العتيق أطيب ». وكان هذا رداً على سؤال الفريسيين فى عدد ٣٣ بأن تلاميذ يوحنا يصومون ويقدمون

١ - رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ٥ : ١٧

طلبات مثل تلاميذ الفريسيين وهذا على عكس تلاميذ يسوع الذين يأكلون ويشربون ، وفى إجابة يسوع نلاحظ تنبيره على أن الخمر القديم يبدو طعمه أطيب ، لكن القديم ينتهى وسيحل محله الجديد ، وهنا سوف يثبت الجديد أنه أطيب من القديم المعتق وذلك عندما ينضج ويتعتق ، ولذلك عليهم أن يصبروا على الخمر الجديد حتى يفهموه جيداً ويعيشونه فيتضح لهم أنه الأطيب . ولا شك أننا نلاحظ كيف صبر يسوع على تلاميذ يوحنا والذين أخذهم معه بعد ذلك وقدم لهم التعليم الجديد (الإنجيل) . ومع مرور الوقت ومن خلال الرسل اكتمل تعليم الإنجيل وتعتق وصار هو الأطيب على الإطلاق . وفى كل جيل تُجرِّب الكنيسة التمسك بالتفاسير القديمة والتى تتلف عادة من حول الإنجيل الجديد والذى لديه الإجابة على أسئلة كل عصر .

الثانى : التصفية عن البعوضة وبلع الجمل :

واجه الرب يسوع الكتبة والفريسيين بالقول :« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان . كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك . أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل » [(١)] .

والمعنى هنا أن القادة يدققون على الأشياء الصغيرة مثل تقديم عشور النباتات إلى الهيكل ولا يهتمون بأشياء أكبر منها بكثير مثل الحق والرحمة والإيمان .

والخلفية التاريخية هنا أن اليهود كانوا يقومون بتصفية الخمر قبل شربها لأن بعض الحشرات الدقيقة مثل البعوض والذباب كانت تسقط فى الزقاق ومن الصعب أن ترى بالعين المجردة بسبب لون الخمرالقاتم ، ويقوم بائع الخمر بتصفية الخمر بوضع فلتر يشبه غربال سلك بعيون ضيقة على الإناء الذى ينقل إليه الخمر. ولقد

---

١ - إنجيل متى ٢٣ : ٢٣ - ٢٤ .

اعتبر الناموس أن هذه الحشرات نجسة ولا يجب أكلها ، « وكل دبيب الطير الماشى على أربع مكروه لكم ... لا يؤكل ... وكل ما يمشى على بطنه وكل ما يمشى على أربع مع كل ما كثرت أرجله من كل دبيب يدب على الأرض لا تأكلوه لأنه مكروه » [1] .

ولم تكن مقارنة يسوع هنا بين الحشرة التى تعتبر أصغر الكائنات النجسة والجمل وهو أكبر حيوان نجس مصادفة . « إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً . فهو نجس لكم » [2] .

إن كنا فهمنا معنى التصفية عن البعوضة فماذا يقصد يسوع ببلع الجمل ؟ معظم المفسرين اعتبروا أن بلع الجمل الذى كان فى ذهن يسوع حينئذ وفى خلفية مستمعيه هو ما جاء فى المشناة اليهودية والتى تفسر الناموس على شكل حالات ، أو ما يعتبر مذكرة تفسيرية للقوانين بلغة العصر . ويقول النص « إذا سقط مبنى على إنسان وكان هناك شك إن كان هذا الإنسان داخل المبنى أم لا أو كان حياً أم ميتاً أو كان يهودياً أو أممياً فعليك أن تزيل الأنقاض من عليه » .

وكان تفسير هذه الكلمات فى عصر المسيح أنه فى حالة التأكد من وجود إنسان أممى تحت الأنقاض فليُترك بدون إنقاذ . وهذا هو ما يقصده يسوع ببلع الجمل ، وعلينا أن ندرك رفض يسوع لهذا الفكر تماماً عندما تحدث بمثل السامرى الصالح والذى فيه ترك الكاهن وبعده اللاوى المجروح ينزف على الطريق دون إنقاذ ، لا لشئ إلا لأنه كان غير يهودى[3] .

١- سفر اللاويين ١١ : ٢٠ و ٢٣ و ٤١ و ٤٢

٢ - سفر اللاويين ١١ : ٤

٣- إنجيل لوقا ١٠ : ٢٩ - ٣٧

فهل كان يسوع لديه حق عندما وصفهم بالقادة العميان حيث كان الكاهن واللاوى فى مثل السامرى الصالح يصفيان عن البعوضة فى الوقت الذى فيه كانا غير قادرين على رؤية الجمل . ونلاحظ اليوم كيف أن قادة الكنيسة يتحدثون كثيراً عن لبس المرأة والطهارة والتدقيق ، وكأنها أخطر ما فى الوجود ، وينسون أنهم يكرهون المختلف عنهم ويمتلئون حقداً وضغينة ، ولا يمدون يد العون لأى مختلف فى العقيدة أو الدين (إنهم يبلعون الجمل) .

الثالث : حامل الشعلة (الكارز) :

لقد أصبح وادى أولمبيا والذى يقع فى الجنوب الغربى من اليونان معروفاً عالمياً، وذلك من خلال الألعاب الأولمبية التى أقيمت فيه من عصر ما قبل الميلاد . ومن المرجح أن بولس الرسول ذهب إلى هناك عندما كان مقيماً فى مدينة كورنثوس والتى تبعد حوالى ٧٠ ميلاً عن أولمبيا . وربما وجد بولس صعوبة فى الذهاب إلى أوليمبيا بسبب خلفيته اليهودية ، لكنه كمسيحى وضع على كاهله الكرازة للأمم ، فكان شغوفاً بأن يذهب إلى هناك ، وربما صنع بعض الخيام لزائرى القرى الأولمبية ، ومن الصعب علينا أن نتخيل كم ونوع الأمثلة التى استخدمها بولس من هذه الألعاب فى التطبيق على الحياة المسيحية دون أن يكون قد ذهب إلى هناك وشاهد الأحداث عن قرب .

والكارزون أو حملة المشاعل من أهم الشخصيات فى الأحداث الأولمبية ، إذ يبدأون عملهم قبل بداية المباريات بستة أشهر فيقومون بحمل المشاعل راكضين خلال المدن اليونانية وذلك بهدف إعلان موعد الأولمبياد ، وذلك حتى يبدأ الذين يريدون الاشتراك فى الدورة الأولمبية التدريب المكثف (وهذا التقليد يتم حتى اليوم على مستوى العالم بشكل رمزى) . ولم يكن دور حملة المشاعل يقتصر على هذا فقط ولكن أيضاً يمتد إلى وقت المباريات ذاتها ، حيث يقوم الكارزون أو حملة المشاعل

بإعلان بداية المباريات وذلك من خلال أبواق ضخمة يطلقون منها موسيقى مميزة ، ثم يعلنون أسماء المتسابقين وأسماء والديهم والمدينة التى يمثلها كل واحد منهم على حدة ، ثم يعلنون قواعد الألعاب والمنافسة ، وبعد انتهاء كل لعبة يأخذون النتائج من يد الحكام ويعلنونها بصوت مرتفع ومميز .

ولقد استخدم بولس هذا المثل عندما كتب لأهل رومية واضعاً نفسه فى مكان الكارز (حامل الشعلة) والكلمة فى اليونانية KÊRUX ، هو يبدأ بنبوءة من العهد القديم تحققت فى الجديد « ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو » (١) .

ثم يسأل كيف يضعون ثقتهم فى شخص أو يؤمنوا به وهم لم يسمعوا عنه قط ثم يكمل كيف يسمعون بلا كارز (حامل الشعلة) وكيف يكرزون إن لم يرسلوا كما هو مكتوب ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات » (٢) .

وعندما كان حاملو الشعلة الكارزون يذهبون من مدينة إلى مدينة لكى يعلنوا عن موعد بدء المباريات كانت الحروب تتوقف بين المدن ، والمدينة التى لا توقف الحرب تعاقب بعدم الاشتراك فى المباريات ، وفى عام ٤٥٤ ق. م . كسر أهل إسبرطة هذا الشرط فبعد ثلاثة أسابيع من مرور الكارز عليهم قاموا بمهاجمة مدينة ليبريوم lepreum ولذا حرموا من الاشتراك فى المباريات ، وهكذا نرى أن الكارز كان يعلن السلام لكل أرض أو مدينة يمر بها . ويقول بولس الرسول إن السلام قد جاءنا من خلال ذبيحة يسوع المسيح « لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع الشهادة فى أوقاتها الخاصة التى جُعلت أنا كارزاً ورسولاً . الحق أقول فى المسيح ولا أكذب . معلماً للأمم فى الإيمان والحق » (٣) .

---

١ - سفر يوئيل ٢ : ٣٢

٢ - رسالة رومية ١٠ : ١٤ - ١٥

٣ - رسالة تيموثاوس الأولى ٢ : ٥ - ٧

وبالطبع فإن إعلان الكارز (حامل الشعلة) للسلام والأخبار السارة للآخرين يصبح بلا قيمة إن لم يعش هو فى حياته الخاصة هذا السلام ، لذلك أضاف بولس « بل أقمع جسدى وأستعبده حتى بعد ما كــرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً » [١] . وهو ما أراد أن يقوله بولس لتيموثاوس : « لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك . لأنك إذا فعلت هذا تخلِّص نفسك والذين يسمعونك أيضاً » [٢] . وقمع الجسد وملاحظة التعليم لم يكن القصد منها الرغبة الجنسية كما ينبر الكثيرون، لكن المقصود هنا كل رغبات الجسد وأهمها الكبرياء والطمع والغيرة والرغبة فى تحطيم الآخرين .. الخ .

الرابع : الأصل والصورة :

ترى ماذا كان بولس يقصد عندما تحدث عن أن المسيح هو صورة الله بقولـه : « إنارة إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله» [٣]. ، « الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة » [٤] . فبالعودة إلى كلمة صورة فى اليونانية نجد أنها لا تحمل معنى التطابق الكامل مع الأصل ولكن تعنى الشبه ، ذلك لأن المرايا لم تكن مصقولة جيداً كما هى اليوم ، والذى ينظر إلى المرآة يرى شبهه ، ولذلك عندما نقول إن الإنسان جاء على صورة الله فهذا يعنى أنه يشبهه :« كما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضاً صورة السماوى » [٥] . ولقد خُلق آدم على صورة الله وشبهه :« وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » [٦]. ولكى نفهم معنى أن المسيح صورة

---

١ - رسالة كورنثوس الأولى ٩ : ٢٧
٢ - الرسالة الأولى لتيموثاوس ٤ : ١٦
٣- الرسالة الثانية لأهل كورنثوس ٤ : ٤
٤ - رسالة كولوسى ١ : ١٥
٥ - رسالة كورنثوس الأولى ١٥ : ٤٩
٦ - سفر التكوين ١ : ٢٦

الله علينا العودة إلى كاتب العبرانيين والذى يصف المسيح هكذا : « الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته » [1] . والذى يعنينا جداً هنا هو التعبير رسم جوهره والذى يعنى علامة مسجلة أو طابع أو سمة . وعلامة الإمبراطور أو سمته ، يعنى صورة الإمبراطور كاملة ، وتعبير رســـم جوهــره فى اليونانية Charaké´r تأتى بمعنى صورة شخصية . وهذه الكلمة تفيد أن يســوع المسيح هــو الصورة الكاملة للحضور الإلهى والتى يمكن أن يراها الإنسان . فهى رسم الجوهر ، وذلك لأننا غير قادرين على رؤية الأصل لأن الذى يرى الأصل يموت كما قال الرب لموسى فى العهد القديم ، ولذلك دعاه يوحنا فى إنجيله بكلمة Nayos أى كلمة الله الناطق (لسان الله) .

ولقد استخدم بولس فكرة خلق الإنسان على صورة الله وشبهـــه فى سفـــر التكوين ١ : ٢٦ ليعلن أن سقوط هذا الشبه فى الخطية جعل المسيح يأتى ليعيد هذا الشبه الأصلى للإنسان مرة ثانية ، وذلك بغرس الشخصية الجديدة بالمعرفة الجديدة بالروح القدس فى الإنسان « إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » [2].

ويقول بولس إن عملية التجديد هذه فى الإنسان تتم تدريجياً لتصل إلى الكمـــال « ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » [3] .

الخامس : الثقة بما يرجى والإيقان بامور لا ترى

يبدأ أصحاح الإيمان فى الرسالة إلى العبرانيين بهذه العبارة : « أما الإيمان فهو

١ - الرسالة إلى العبرانيين ١ : ٣
٢ - رسالة كولوسى ٣ : ٩ - ١٠
٣- رسالة كورنثوس الثانية ٣ : ١١

الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى » [1] . والكلمة اليونانية للثقة هى Hupostasis ، وكانت هذه الكلمة تستخدم ككلمة فنية وقانونية فى نوعية معينة من شراء وبيع العقارات وتملكها ، فعندما يكتب شخص ما عقداً مع آخر لشراء أرض مملوكة للأول دون أن يراها يسمى هذا العقد « عقد ثقة » ، ذلك لأنه يرى البائع لا الأرض التى يشتريها منه وإذا اتفق المشترى على أن يقوم البائع ببناء هذه الأرض لصالحه كمشتر فيتم كل هذا دون رؤية عينية للأرض ، فالأرض هنا هى محل العقد (الثقة) فى البائع ، أما البناء عليها فهو الإيقان بأمور لم تُر بعد لأن البيت لم يُبنى بعد . وفى مرات كثيرة نشترى أرضاً لم نرها ربمّا لأنها بعيدة عنا آلاف الأميال ، لكن العقد الذى فى أيدينا (الثقة) يؤكد وجودها ويؤكد ملكيتنا لها لأنه يوضح مساحتها وحدودها .. الخ . ثم يمكننا أن نتفق مع مقاول - كما يحدث الآن من خلال الإنترنت ليبنى لنا هذه الأرض بمواصفات معينة دون أن نراها أو نراه ، بل يمكن بعد ذلك أن نبيعها لشخص آخر ، وهكذا .

والإيمان المسيحى يشبه هذا العقد ، إنه تأكيد بأشياء نمتلكها لكننا لا نستطيع أن نراها بعيوننا المادية ، ولذلك بعد أن نسمع عن اختبارات المؤمنين والذين ماتوا دون أن ينالوا هذه المواعيد بل من بعيد نظروها وحيوها نتأكد أن إيمان هؤلاء لم يكن اعتباطاً أو إيماناً أعمى ، ذلك لأنهم اختبروا إيمانهم والذى أثبت أحقيته كأساس للرجاء فى وعد الرب بأنه أعد مدينة لهم : « ولكن الآن يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً . لذلك لا يستحى بهم الله أن يُدعى إلههم لأنه أعد لهم مدينة » [2] . وهذه المدينة كانت حقيقة واقعة بالنسبة لهم ذلك لأنه كان معهم عقد (الثقة) والضمان لجزء منها خاص لكل واحد منهم . وهكذا يتحدث الكاتب عن موسى قائلاً بالإيمان موسى « تشدد كأنه يرى من لا يرى » [3] .

---

١ - الرسالة إلى العبرانيين ١١ : ١

٢ - الرسالة إلى العبرانيين ١١ : ١٧

٣ - الرسالة إلى العبرانين ١١ : ٢٧

من هذه الأمثلة الخمسة السابقة نستطيع أن نكتشف أهمية الخلفية التاريخية فى فهم الكتاب المقدس .

ثانيا : أمثلة توضيحية لمفهوم المعنى اللغوى للكلمات والأفعال :

والمعنى اللغوى للكلمات والأفعال يعود بنا إلى أصول الكلمات وكيفية استخدامها فى حضاراتها ، ولنا فى هذا خمسة أمثلة :

الأول : الفعل « أراحنى » :

عندما كان بولس الرسول فى السجن كان دائم التوقع لأصدقاء أحباء يقومون بزيارته وقد كتب لتيموثاوس عن أنسيفوروس قائلاً : « لأنه مراراً كثيرة أراحنى ولم يخجل بسلسلتى بل لما كان فى رومية طلبنى بأوفر اجتهاد فوجدنى » [1]. وكلمة أراحنى تأتى بمعنى أنه « أخذ نَفَساً من هواء نقى » . « تنهد بارتياح » وهو نفس التعبير فى مزمور ٢٣ « يرد نفسى » بمعنى يريحنى ،وهذا الشعور يحدث عندما أرى إنساناً أحبه وأشعر بسعادة للقائه .والكلمة فى اليونانية anapsuho وهى تذكّر بما ورد فى سفر الأمثال « كبرد الثلج فى يوم الحصاد الرسول الأمين لمرسله لأنه يرد نفس سادته » [2] .

وقد استخدم بولس نفس التعبير عندما كان يحتاج إلى راحة قصيرة : « حتى أجئ إليكم بفرح بإرادة الله وأستريح معكم (وأخذ نَفَسى) » [3]. وقد كتب لفليمون قائلاً : « لأن لنا فرحاً كثيراً وتعزية بسبب محبتك لأن أحشاء القديسين قد استراحت بك أيها الأخ » (فليمون ٧) ، وقد أوصى الكورنثيين أن يريحوا تيطس : « ولكن

---

١ - الرسالة الثانية لتيموثاوس ١ : ١٦ - ١٧

٢- سفر الأمثال ١٣ : ٢٥

٣ - رسالة رومية ١٥ : ٣٢

فرحنا أكثر جداً بسبب فرح تيطس لأن روحه قد استراحت بكم جميعاً »[١] . ويقول لهم أيضاً « ثم إنى أفرح بمجئ استفاناس وفرتوناتوس وخائيكوس لأن نقصانكم هؤلاء قد جبروه إذ أراحوا روحى (فى الأصل عقلى أو رأسى) وروحكم فاعرفوا مثل هؤلاء »[٢] .

والسؤال الآن : هل نحن من هذه النوعية التى تريح الآخرين أم العكس ؟

الثانى : كلمة « البسيطة » العين البسيطة :

استخدم يسوع هذا التعبير فى الموعظة على الجبل « سراج الجسد هو العين . فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً »[٣] . وكلمة بسيطة فى اليونانية haplous تعنى فى ترجمة أخرى حرة أو كريمة أو صحية أو لا توجد عليها سحابة ، لكن فكرة العين البسيطة تأتى من كلمة لاتينية تعنى غير ازدواجية أى أحادية النظرة .. فالإنسان الذى عينه بسيطة تكون رؤيته واضحة أى رؤية متسعة غير مريضة وغير خبيثة ، وفكرة العين البسيطة هنا عند يسوع تعنى غير المزدوجة ، ويوضحها فى الأعداد التالية : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال »[٤] .

الثالث : الفعل « مفصلاً » كلمة الحق :

يقول بولس لتيموثاوس « اجتهد أن تقيم نفسك لله مزكى عاملاً لا يخزى مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة »[٥] . يستخدم بولس هنا كلمة « عامل » بمعنى الرجل الذى يشتغل بيديه ، لكن كلمة « مفصلاً » تابعاً إياها بالاستقامة تعنى قطع بالاستقامة وهى صورة الخياط الذى يقوم بقطع الثياب بالمقص قطعاً مستقيمة ، وربما قام بولس

١ - الرسالة الثانية لكورنثوس ٧ : ١٣
٢ - الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١٦ : ١٧ و ١٨
٣ - إنجيل متى ٦ : ٢٢
٤ - إنجيل متى ٦ : ٢٤
٥ - الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٢ : ١٥

بهذا العمل وهو يصنع الخيام ، وإذا لم يقطع بولس القماش بالاستقامة أفسد عمل الخيمة . وأيضاً هناك صورة أخرى للتفصيل بالاستقامة وهو قطع الأحجار بالاستقامة أو تشذيبها لتصلح فى تكوين حائط مع الحجارة الأخرى دون إدخال أى مادة لاصقة بينهم .

والمعنى هنا أن يقوم تيموثاوس بتفسير كلمة الحق وتفصيلها لتكون مناسبة للحضارة التى تقال فيها وللشخص الذى يسمعها وأن يقوم المفسر بهذا بمهارة فائقة كالعامل الذى يحوّل القماش إلى ثياب مناسبة لكل إنسان ، أو البناء الذى يقيم بناءً متماسك الأركان .

الرابع : كلمة « المتنوعة » حكمة الله المتنوعة :

يقول بولس الرسول : « لكى يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة » [١] .

تستخدم كلمة المتنوعة فى اليونانية polupoikilos عن الألوان . والكلمة تحمل كل ألوان الطيف ، والمقصود هنا إننا لا نستطيع أن نلمّ بحكمة الله وإن كنا قادرين على إدراكها أو إدراك جزء منها ، فحكمة الله المتنوعة الألوان تظهر فى الطبيعة وفى الملائكة وفى السر المكتوم الذى أعلنه بولس .. الخ .

ثم إن هذه الحكمة على جميع الألوان وقد وُضعت فى تناسق وجمال وروعة وجاذبية ، فلم تكن حكمة الله فى يوم من الأيام غير منسجمة أو مؤذية للعين أو للفكر أو غير جاذبة ، فحكمة الله جميلة بقدر ما هى عميقة والاثنان لا يتعارضان بل بالعكس يتكاملان . ولقد استخدم بطرس الرسول كلمة متنوعة بالقول : « ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين لنعمة الله المتنوعة » [٢] .

---

١ - الرسالة إلى أفسس ٣ : ١٠
٢ - رسالة بطرس الأولى ٤ : ١٠

الخامس : كلمة « الوديعة » احفظ الوديعة :

ينهى بولس رسالته الأولى لتيموثاوس بهذه الكلمات : « يا تيموثاوس احفظ الوديعة معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم » [١] .

ما هى الوديعة ؟ الكلمة اليونانية Parathéké كلمة تنتمى إلى أعمال البنوك وتعنى ما يدخر أو يوضع جانباً ، وذلك بالمقارنة بالمعرفة المزيفة للغنوسية والتى لا تصلح كوديعة . فالوديعة هنا تعنى « الحق » الذى أودعه يسوع عند التلاميذ ليحفظوه . وبولس يؤكد على تيموثاوس أن يتأكد من أن الوديعة محروسة جيداً ولم يضع منها شئ ، أو تغير منها جزء ، ولذلك فى رسالته الثانية لتيموثاوس (١ : ٤) يضيف بولس إلى كلمة الوديعة كلمة الصالحة ، أى التى لم يتغير منها شئ ، فيقول : « احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا » .

لكن الحفظ هنا لا يعنى أن نغلق عليها ونمنع عنها البشر ، لذلك يكمل بولس حديثه بالقول : « وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً » [٢] ، ويكمل هذا الفكر كلمات الرب يسوع عن الكاتب المتعلم فى ملكوت السموات « فقال لهم يسوع : أفهمتم هذا كله (الوديعة) فقالوا نعم يا سيد فقال لهم من أجل ذلك كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء » [٣] . وكلمة كنز فى اليونانية thesaurus تعنى كنز المعرفة ، بالنسبة للمؤمن ، فالكنز هو الكتاب المقدس والذى يحوى داخله الوديعة .

بعد أن أخذنا خمسة أمثلة لمفهوم الخلفية التاريخية ، وخمسة أخرى عن المعنى اللغوى للكلمات والأمثال ، سوف نذكر مثلاً يحمل الاثنين معاً (الخلفية واللغة) .

---

١ - الرسالة الأولى لتيموثاوس ١ : ٤

٢ - الرسالة الثانية لتيموثاوس ٢ : ٢

٣ - إنجيل متى ١٣ : ٥٢

يحكى لنا لوقا فى إنجيله والأصحاح العاشر من العدد الخامس والعشرين حتى الثامن والعشرين عن الناموسى الذى جاء ليجرب الرب يسوع بالقول : « يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية » . فقال له ما هو مكتوب فى الناموس ، كيف تقرأ ، فأجاب وقال :« تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك فقال له بالصواب أجبت افعل هذا فتحيا » . وبالعودة إلى النص الذى اقتبس منه الناموسى الآية وهو سفر التثنية الأصحاح السادس والعدد الخامس نجد أن تعبير : « من كل فكرك » غير موجودة رغم أن السيد المسيح قد وافق على النص المضاف إليه « من كل فكرك » وقال له : « بالصواب أجبت » . فمن أين جاء الناموسى بهذا التعبير ؟

وبالرجوع إلى كلمات الناموسى والتى أقرها الرب يسوع نجد أنه اقتبسها من الترجمة السبعينية للعهد القديم ، وهى ترجمة العهد القديم إلى اللغة اليونانية ، ولم يقتبسها من الأصل العبرى لسفر التثنية . والسؤال هنا : لماذا أضاف المترجم جملة « من كل فكرك » فى اليونانية رغم عدم وجودها فى الأصل العبرى ؟ . بالعودة إلى التراث العبرى فى عهد موسى نجد أن القلب لم يكن مصدراً للعواطف فقط ، بل كان أيضاً مصدراً للفكر، فعندما يقول يهودى أنا أحب من قلبى فيعنى أنه يحب بالفكر وبالعاطفة . لكن بعد انتشار الحضارة اليونانية واختلاطها باليهودية أصبح التركيز على العقل كمصدر للفكر والقلب كمصدر للعواطف ، وبالتالى إذا اقتصر المترجم على « تحب الرب إلهك من كل قلبك » فالقارئ المعاصر سواء كان يهوديا أم يونانياً سوف يسأل وأين مكان العقل ؟ فى حين أن كلمة « القلب » التى يترجمها تحتوى على الفكر حسب الحضارة التى كُتبت فيها . لذلك وبلا تردد وبكل أمانة المترجم ، فقد قام بترجمة كلمة « القلب » إلى جملة « كل القلب وكل الفكر » لكى تكون مفهومة وواضحة فى العصر الذى ترجم فيه الكتاب ، وللحضارة التى تُرجم إليها .

وهكذا نرى أننا لكى نفهم الكتاب المقدس جيداً علينا أن نراعى ما الذى كان فى ذهن الكاتب (الخلفية التاريخية) ثم المدلول اللغوى للكلمة ، ثم نأتى أخيراً إلى الدائرة الثالثة والتى تكمل المعنى ألا وهى الإجابة على التساؤل ماذا يعنى هذا بالنسبة لى اليوم ؟ أى كيف أحب الرب من كل القلب ومن كل الفكر هنا والآن ؟ وكيفية التوازن بينهما فى الاختبار المسيحى وفى التعليم والكرازة ؟ ثم كيفية التعاون بينهما سلباً وإيجاباً ؟ فعلى الفكر أن يصبح مرجعاً للعاطفة ، فلا تشت بنا العاطفة إلى حيث تخطئ « اغضبوا » (عاطفة) و « لا تخطئوا » (عقل) . فالغضب المقدس عاطفة مطلوبة ، وعدم الخطأ فكر مطلوب . وإيجاباً عندما يضرم الفكر العاطفة ، فعندما أتعمق بفكرى فى كلمة الله وفى علاقتى فلذا يجعل عاطفتى تتحرك وتعمل، فكلما درست نهاية الخطاة أو تأثير الفقر على الأطفال بصورة فكرية علمية ، فهذا يجعل عاطفتى تتحرك نحوهم سواء لإنقاذ الخطاة من الهلاك أو الأطفال من الفقر .

هذا عن دراسة النصوص المقدسة ، أما عند دراسة المثل (أمثال المسيح) ، فعلينا أن نطبق المبادئ التى ذكرناها كالتالى :

١ - البحث عن قصد المثل العام فى لحظة سماع المثل ، وفى ظروف الحضارة التى أطلق فيها المثل (الخلفية التاريخية) .

٢ - استخدام الرمز فيما يخدم هذا الهدف فقط إن وجد .

فمثلاً بالعودة إلى مثل السامرى الصالح ، نجد أن الهدف الأساسى من المثل هو محبة القريب ، والقريب هنا إشارة إلى أى إنسان مهما كان جنسه أو دينه ، فالحب هنا للإنسان كإنسان ، وقد كان هذا هو القصد من المثل فى الحضارة التى قيل فيها حيث كان العداء مستحكماً بين اليهود والسامريين . ما الذى يعنيه لى هذا المثل هنا والآن فى مصر ؟ لا شك أن هذا المثل يتحدانى فى علاقتى بغير المسيحى ، فإذا وجدت إنساناً غير مسيحى مصاباً ملقى على الطريق فى شارع ما وأنا أسير

بسيارتى ما هو الموقف الذى يجب أن أتخذه ؟ هل أتركه كما فعل الكاهن واللاوى مع الإنسان النازل من أورشليم إلى أريحا ؟ أم أقترب إليه كما فعل السامرى الصالح وأضمد جراحه وأحمله لأقرب مستشفى . هذا هو التفسير الصحيح والحى للمثل .

وبالعودة إلى مثل الخروف الضال فى إنجيل متى نجده يقول على فـــم السيد المسيح [1] : « ماذا تظنون إن كان لإنسان مائة خروف وضل واحد منها أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ويذهب يطلب الضال » .

أما إنجيل لوقا فيقول : « أى إنسان منكم له مئة خروف وأضاع واحداً منها ألا يترك التسعة والتسعين فى البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده » [2] .

والفارق هنا أن المسئولية فى إنجيل متى تقع على الخروف «ضل واحد منها » . وفى إنجيل لوقا تقع على الراعى « وأضاع واحداً منها » .

وبدراسة الخلفية نكتشف أن يسوع قال المثل فى إنجيل متى بهذه الصورة لأنه كان يركز فى حديثه على الجماهير ، بينما فى إنجيل لوقا كان يركز حديثه على القادة من الفريسيين . فدراسة الخلفية توضح لنا أنه لا يوجد تناقض بين متى ولوقا، بل الرب يسوع حكى المثل بأكثر من طريقة لاختلاف نوعية المستمعين .

وفى كل هذا علينا أن نحدد نوعية النص ، وهذه نقطة مهمة للتفسير بصورة صحيحة . فخلفية النص والمعنى اللغوى وما الذى يهمنى اليوم يجب أن تطبق على كل النصوص . ولكن لكى أزداد معرفة وتعمقاً علينا بداية أن نحدد نوعية النص ، فقرائتنا للمثل تختلف عن تفسيرنا للنصوص المباشرة ، وتختلف عن التاريخ أو الشعر .. وهكذا .

---

١ - إنجيل متى ١٨ : ١٢

٢ - إنجيل لوقا ١٥ : ٤

* خاتمة :

لقد حاولنا فى هذا الفصل أن نبين الخلفية التاريخية من أمثلة متنوعة ، فالخمر والزقاق يرجع إلى خلفية الزراعة ، وصناعة الخمور والتصفية عن البعوضة والجمل إلى خلفية الصناعة ، والفكر الدينى إلى التعامل مع الحشرات والحيوانات النجسة ، والكارز أو حامل الشعلة من خلفية الألعاب الرياضية اليونانية والرومانية ، والأصل والصورة من خلفية الفن أو التصوير ، والثقة بما يرجى من خلفية الملكية والبناء . *وعندما ندرس كل هذه الخلفيات وغيرها فى القرن الأول يكون فهمنا أكثر وضوحاً للكتاب المقدس .*

أما الكلمات ، فقد أردت أن ندرس معاً فعلين « أراحنى » ، « مفصلاً » ، وثلاث كلمات مشهورة فى الكتاب المقدس : « العين البسيطة » ، و «المتنوعة» ، و « الوديعة» وبهذه النماذج نكون قد وضَّحنا فكرتنا فى تفضيل المدرسة التاريخية اللغوية المعاصرة عن أى مدرسة أخرى مطروحة ، فهذه المدرسة تهتم بالخلفية التاريخية والمعنى اللغوى لفهم الكتاب المقدس بصورة صحيحة ، ثم بالدائرة الثالثة وهى الإجابة *على التساؤل ماذا يعنى هذا لى اليوم ؟ أو الفهم المعاصر لكلمة الله .*



الباب الثانى

الكتاب المقدس والبلاغة اللغوية

يعتمد الفكر الذى نحاول تقديمه هنا على كيفية الوصول إلى معانى الكلمات انطلاقاً من خصوصية الإدراك الإنسانى ، ذلك الإدراك الذى يصل إليه الإنسان من خلال التجارب التى يجتاز فيها ويتفاعل معها . وهنا يأتى معنى أن يسند الإنسان فهم كلمة ما على شئ ما اختبره فيصبح الاثنان شيئاً واحداً ، فمثلاً مفهوم الزمن أو « الوقت » فى اختبار الإنسان على مدى تاريخه شئ له قيمة مثل المال ، ولذلك استخدم الإنسان مصطلحات المال وأطلقها على الزمن أو الوقت وذلك بالقول مثلا : « **ضيعت** » وقتاً طويلاً فى هذا الأمر ، أو « **وفرت** » وقتاً .. الخ . وهنا لكى يفهم الإنسان معنى الزمن جيداً فقد تخيله كالمال أو الشئ القيم ، وأسند فهمه له على معانى المال ، ولم يعد هناك انفصال بين الاثنين .

ولا شك أن الإنسان يستقى معلوماته الذهنية من خلال البصر والجهاز الحركى والشم والذوق .. الخ . لكن الذى يربط بين هذه كلها ويعبر عنها هو اللغة ، فوظيفة اللغة هى وصف إحساساتنا وإدراكاتنا وتجاربنا المختلفة ، ولذلك تكوَّن عند الإنسان ما يسمى بالبناء الداخلى والذى نتج عن تجاربه المختلفة عبر السنين وقام بالربط بين اللفظ وما يدل عليه .وهنا نجد كيف تتطور الألفاظ وتتغير معانى الكلمات مع مرور الزمن ، وذلك لاختلاف العصر والخبرة الإنسانية ، فمثلاً كلمة Logos أو « **الكلمة** » كان لها معنى قبل المسيحية اختلف تماماً بعد المسيحية ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فكلمة قلب فى العبرية كانت تعنى الأحاسيس والفكر، وبمرورالوقت أصبحت تعنى العاطفة فقط .. وهكذا .

وإذا تجاوزنا الكلمات المحملة بمعانٍ إلى الجمل والنصوص والتى تأتى من توافق الألفاظ والكلمات معاً لتقدم عبارات لغوية متكاملة ، فإن كل جملة من هذه الجمل لها معنى حرفى ومعنى بلاغى ، والذى يأتى من الاستخدام أو السياق أو ما يعرف بالمعنى الهامشى ، فمثلاً عندما يقول السيد المسيح أنتم نور العالم ، أنتم ملح الأرض .. الخ ، فهذه الكلمات لها معنى حرفى ولها معنى بلاغـــى ، وأيضاً تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم .. أو طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله .. وهكذا .

وهنا نجد أن الذهن الإنسانى يحتوى على مجالات خيالية متعددة على مستويات مختلفة ، وكلما كثرت هذه المجالات الذهنية وتعددت مستوياتها ، كلما أعطى للمعانى الحرفية للكلمات والجمل أشكالاً خيالية بلاغية ، وكلما ازدادت قدرة الإنسان على الربط بين هذه المستويات كلما ازدادت المعانى عمقاً واتساعاً . فمثلاً جملة أنتم ملح الأرض : ترتبط بأكثر من مستوى خيالى ، فعندما قال السيد المسيح هذه العبارة لتلاميذه صيادى السمك ارتبطت فى أذهانهم بعملية حفظ السمك من الفساد بدفنه فى الملح ، وهذا المستوى أتى من الخبرة اليومية وطبيعة عملهم ، ولذلك ارتبط المعنى هنا بمستوى قيمة الملح . ولكن هناك مستوى آخر مختلف والذى يأتى من الخلفية التاريخية أو الخبرة التاريخية ، ففى التراث اليهودى كان قيام عهد بين اثنين من البشر يدعى « عهد الملح » وهو العهد الذى عقده الله مع داود « أما لكم أن تعرفوا أن الرب إله إسرائيل أعطى الملك على إسرائيل لدواد إلى الأبد ولبنيه بعهد ملح » [1] . « إلى الدهر احفظ له رحمتى وعهدى يثبت له وأجعل إلى الأبد نسله وكرسيه مثل أيام السموات » [2] .

وهنا مستوى ثالث لفهم جملة « أنتم ملح الأرض » يأتى من الخبرة العلمية ، فالملح يمكن أن يكون سبب فساد للأرض الزراعية إذا زاد عن الكمية المطلوبة ، كما يقول

---

١ - اخبار الأيام الثانى ١٣ : ٥

٢ - سفر المزامير ٨٩ : ٢٨ و ٢٩

النبى إرميا فى سفره الأصحاح السابع عشر والعدد السادس عشر : « ويكون مثل العرعر فى البادية ولا يرى إذا جاء الخير بل يسكن الحرة فى البرية أرضاً سبخة وغير مسكونة » و « وحارب أبيمالك المدينة كل ذلك اليوم وأخذ المدينة وقتل الشعب الذى بها وهدم المدينة وزرعها ملحاً » [١] .

ومستوى رابع رمزى يأتى من الخبرة الدينية إذ كان الملح يستخدم للتطهير، وذلك عندما طهر أليشع بصورة رمزية ماء أريحا بواسطة إلقاء بعض الملح : « وقال رجال المدينة لأليشع هوذا موقع المدينة حسن كما يرى سيدى وأما المياه فردية والأرض مجدبة فقال ائتونى بصحن جديد وضعوا فيه ملحاً فأتوه به ، فخرج إلى نبع الماء *وطرح فيه الملح وقال هكذا قال الرب قد أبرأت هذه المياه لا يكون فيها* أيضاً موت ولا جدب فبرئت المياه إلى هذا اليوم حسب قول أليشع الذى نطق به » [٢] .

وأيضاً خلط الماء بالذبيحة لتطهيرها « وكل قربان من تقدماتك بالملح تملحه ولا تخل تقدمتك من ملح عهد إلهك . على جميع قربانك تقرب ملحاً » [٣] . وأيضاً « لأن كل واحد يملح بنار وكل ذبيحة تملح بملح » [٤] .

والمستوى الخامس يأتى من الخبرة العملية اليومية فى تذوق الطعام ، وهو إعطاء الملح نكهة مميزة للطعام .وقد استخدمها بولس فى إعطاء طعم للكلام أو الحديث ليكون مقبولاً من الآخرين « ليكن كلامكم فى كل حين بنعمة مصلحاً بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد » [٥] .

وقد ضم يسوع كل هذه المستويات معاً فى مستوى أخير بقوله : « الملح جيد ولكن إذا صار الملح بلا ملوحة فبماذا تصلحونه ليكن لكم فى أنفسكم ملح وسالموا بعضكم بعضاً » [٦] . أو بمعنى آخر افعل أى شئ ممكن لتحفظ علاقتك بالآخر لها

١ - سفر القضاة ٩ : ٤٥
٢ - ٢ مل ٢ : ١٩ - ٢١
٣ - سفر اللاويين ٢ : ١٣
٤ - إنجيل مرقس ٩ : ٤٩
٥ - رسالة كولوسى ٤ : ٦
٦ - إنجيل مرقس ٩ : ٥٠

طعم ومقبولة ، وهكذا أضاف خبرة جديدة أعطت معنى جديداً ببعد جديد لمفهوم الملح .

فالملح يملح كل شئ لكنه لا يُملَّح « فإذا فسد الملح فبماذا يُملَّح » [1] . وأيضاً « الملح جيد . ولكن إذا فسد الملح فبماذا يصلح . لا يصلح لأرض ولا لمزبلة فيطرحونه خارجاً . من له أذنان للسمع فليسمع » [2] .

من كل هذه المستويات المختلفة من المعانى والتى جاءت عبر المستويات المتعددة للخيال الإنسانى الناتجة عن تجاربه نصل إلى ما أراد يسوع أن يقوله للتلاميذ : « أنتم ملح الأرض » ، أى أنهم يحملون كلمة الله إلى العالم ، كلمة الرجاء لكل إنسان، وعليهم أن *يذهبوا إلى كل الأمم لتنقيتها* وحفظها من *الفساد* ، وأن *يعطوا طعماً* لحياة البشر الذين يرون أن حياتهم أصبحت بلا طعم ولا معنى ، وليس عليهم أن ينتشروا مثل الفلفل أو الشطة بالعنف والقوة لكن قليل من الملح هنا وقليل هناك بصورة طبيعية سمحاء ، وبحب فائض ينشرون السلام والحب والرجاء بين البشر .

وهكذا نرى أن ذهن الإنسان يحتوى على مستويات خيالية متعددة ومشتركة نبعت من تجارب طويلة عبر التاريخ الإنسانى وتجمعت فى إنسان اليوم . فهناك البعد الحسى والبعد العاطفى والبعد الاجتماعى وتجارب أخرى من هذا القبيل ، ويضاف إلى كل هذا القدرات الفطرية التى توجه التجربة وتجعلها ممكنة ، ومفهوم التجربة لا يعنى التجارب العرضية التى تحصل لفرد بعينه ، لكن المقصود بالتجربة تلك التى تتوافر لنا جميعاً باعتبارنا بكل بساطة كائنات بشرية تعيش على هذه الأرض فى إطار مجتمع بشرى ، فمثلاً عبارة : « أنتم ملح الأرض » يستطيع أن يفهمها أى بشر فى

---

١ - إنجيل متى ٥ : ١٣

٢ - إنجيل لوقا ١٤ : ٣٤ و ٣٥

أى مكان فى العالم ، فالذهن الإنسانى هو العنصر المشترك بين جميع البشر ، والجانب المعرفى عند الإنسان هو القاسم المشترك بين بنى آدم .

ونحن فى هذا الباب سوف نحاول أن نفهم الكتاب المقدس من خلال بلاغة اللغة فى ضوء التجربة الإنسانية والعلاقة التى تربط بينهما ، فكيف تفعل التجربة فى اللغة ؟ وكيف تفعل اللغة فى التجربة ؟ هذا ما سوف نتعرض له فى الفصول القادمة .

الفصل الأول

التصورات أو التخيلات التى نعيش عليها

لا شك أن التـصـورات أو التـخـيـلات التى تتـحكم فى تفكيرنا ، تتـحكم أيضـاً فى سلوكنا اليومى البسيط بكل تفاصيله ، فتصوراتنا تعمل على تكوين مداركنا والطريقة التى نتـعامل بواسطتـهـا مع العالم كما تحـدِّد كيفية ارتبـاطنا بالناس ، وبهـذا تلعب منظومة التخيل لدينا دوراً مركزياً فى تحديد الحقائق التى تقابلنا أو التى نريد التعبير عنها ، وأهم عـامل فى منظومة التخيل هذه هو الاستعارة ، ومفهوم الاستعارة هنا هو استعارة مفهوم أو معنى وإسناده لآخر حتى يتضح المعنى الأصلى ، وذلك يتم بشكل طبيعى فى حياتنا اليومية .

لذلك نقول : إنه عندما أراد الإنسـان أن يصـف الجدل والمناقشات التى تدور بينه وبين الآخرين استـخدم أو استـعار مفهوم الحرب « الجدال حرب » ، والعبارات التى تستخدم كما يلى :

١ – لا يمكن أن **تدافع** عن ادعاءاتك .

٢ – لقد **هاجم** كل نقط القوة فى الاستدلال .

٣ – **أصابت** انتقاداته **الهدف** .

٤ – **التف حول** حججه .

٥ – **استدرجه** إلى أرضه .

٦ – **هدم** حجته .

٧ – **اسقط** جميع براهينه .

٨ – **رفع الراية البيضاء** (استسلم) .

ومن المهم أن نرى أننا لسنا نتحدث فقط عن الجدال بعبارات الحرب فقط ، بل قد ننتصر أو ننـهزم فعلاً . فالشـخص الذى نتـجادل معه يعتبر غريماً . فنحن نهاجم

مواقفه وندافع عن مواقفنا ، ونربح أو نخسر المواقع ، ونضع استراتيجيات ونطبقها، وإذا وُجدنا فى موقف ضعيف ، فإننا قد نتركه ونختار خطاً دفاعياً جديداً . إن جزءاً كبيراً من الأشياء التى نقوم بها فى الجدال تتبنى تصور الحرب ، وإذا كنا لا نجد معركة حقيقية مادية فإننا نجد معركة كلامية . فالجدال يبنى على الهجوم ، الدفاع ، الهجوم المضاد .. الخ .

ولا شك أن هذا الفكر كان فى خلفية الرب يسوع سواء فى حواره مع المرأة السامرية أو نيقوديموس أو غيرهم رغم اختلاف المستوى الثقافى والاجتماعى من واحد لآخر . وكل جدال مر به يسوع فى حياته على الأرض كان بالنسبة له حرباً يريد أن يكسبها لكى يربح الشخص الذى يحاوره ، وليس لربح الحوار فى ذاته وخسران الشخص . ولقد كان بولس الرسول محارباً محترفاً فى أى جدال إذ كان يدخل الجدال بفكر الحرب .

★ ولنأخذ فى ذلك اكثر من مثال :

١ - يسوع والمرأة السامرية (الجدال حرب)

بدأ يسوع بالقول : « أعطنى لأشرب » وهو قول عبارة عن أسلوب استطلاع أو استكشاف العدو مع المفاجأة ، فالمرأة لم تكن تنتظر أن يتحدث إليها رجل يهودى ، لكن هذه المبادرة من يسوع كانت لإخراج المرأة من صمتها ، ولفتح باب الكلام واستدراجها على أرضه .

وكان الرد هجوماً مضاداً من المرأة السامرية قائلة : « كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية » . ويعلق يوحنا بالقول « لأن اليهود لا يعاملون السامريين » .وهذا الهجوم المضاد كان الغرض منه انشغال يسوع باتهامين موجهين ضده أنه يهودى يتحدث إلى سامرية ، وأنه رجل يتحدث إلى امرأة .

وعندما رأى يسوع أنها بدأت فى الهجوم ، دافع بأن تجاهل الاتهامات أى جعل القذائف لا تصيبه مباشرة ، فجعل هجومها بلا نتيجة ، ووجه إليها **سلاحاً جديداً** لم تعتد عليه وذلك عندما قال لها : « لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطنى لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماءً حياً » .

وهنا كان دفاع المرأة ، ومنه نلاحظ تراجعاً مبدئياً . وكانت هذه أول إجابة مباشرة منها لسؤال يسوع . قالت له المرأة : « ياسيد لا دلو لك والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحى » ثم **هجوم بسلاح ممنوع** وهو سلاح غير إنسانى بالمرة ألا وهو الهجوم الشخصى ، لقد تركت الموضوع جانباً وهاجمت الشخص وهذا أسوأ أنواع الجدال على الإطلاق عندما لا نقدر على مواجهة محدثنا موضوعياً فنهاجمه شخصياً، وهكذا قالت له فى مباغتة « ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه » ، بمعنى من أنت حتى تقول هذا ؟ .

وهنا رفض يسوع أن ينزل جداله أو حربه إلى هذا المستوى وعاد إلى الموضوع، فلم يحاول يسوع أن يدخل فى جدال شخصى أو يدافع عن نفسه ويحاول أن يثبت أنه أعظم من يعقوب ، لكنه حدثها عن الماء الحى بالقول : « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » .

وهنا جاءت المناورة الكبرى من المرأة ، فقد تحدثت وكأنها **استسلمت ورفعت الراية البيضاء** بقولها : « ياسيد أعطنى هذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى إلى هنا لأستقى » ، لكنه فى الحقيقة لم يكن استسلاماً بقدر ما هو اختبار لصحة كلام المسيح، فإن كان لديه فعلاً ماءً حياً من يشربه لا يعطش بصورة حرفية ، فليرها هذه المعجزة وهو استخدام **لسلاح من نوع آخر هو السخرية** ، ولقد أحس يسوع بأنها تتحداه وتسخر منه بهذا القول ، **فهاجمها** من حيث لا تتوقع وبصورة مباغتة وفى

منطقة ضعيفة جداً فى حياتها إذ قـال لها : « اذهبـى وادعـى زوجك وتعالى إلى ها هنا » (وهنا أصابت القذائف الهدف) ، وهكذا ولأول مرة تجيب المرأة إجابة صادقة بلا مواربة على سؤال المسيح بقولها : « ليس لى زوج » ، وهنا بدأت الحرب تأخذ اتجاهاً آخر ، فبدلاً من الأسلحة المنوعة من هجوم شخصى على المسيح أو سخرية مما يقول أجابت بوضوح ، ولذلك قال لها يسـوع :الآن يمكن أن نتفاهم « **حسناً قلت** ليس لى زوج لأنه كـان لك خـمسـة أزواج والذى لك الآن ليس هو زوجك . هذا قلت بالصدق » أو بالحق وكأن يسوع يقول لها إن كل تعليقاتك السابقة لم تكن مستقيمة أو حق حتى فى طلبك للماء الحى إلا أن المرأة لم تستسلم وقامت **بمناورتها الأخيرة** والالتفاف حول فكر المسيح إذ قالت : « أرى أنك نبى » وأعقبت ذلك بسؤال لاهوتى يبعد المسيح عن الهدف ويضعه فى موقف الدفاع عن عقيدة ، إلا أن الرب يسوع تفادى القذيفة وتركها تمر بجانبه وعلق قائلاً : « يا امرأة صدقينى أنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب أنتم تسجدون لما لستم تعلمون ، أما نحن فنسجد لما نعلم .. » إلى أن انتهى بالقول « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (وكان هذا إسقاطاً لجميع البراهين) . وهنا استسلمت المرأة وألقت بجميع أسلحتها ورفعت الراية البيضاء بقولها : « أنا أعلم أن مسـيا يقال له المسيح يأتى ، فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شئ » . فقال لها : « أنا الذى أكلمك هو » . يقول يوحنا إن المرأة تركت جرتها ومضت إلى المدينة وقالت للناس : « هلموا انظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت » .

٢ – *لقاء المسيح مع نيقوديموس :*

إذا تأملنا لقاء نيقوديموس مع المسيح نجد أن المناقشة بينهما كانت حرباً انتصر فى نهايتها المسيح وإن كان قد استخدم أسلحة مختلفة عن التى استخدمها مع

السامرية ذلك لأن نيقوديموس كان معلماً فى إسرائيل ، وكانت نقطة التحول فى المناقشة عندما قال له يسوع : « أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا » . فإذا كانت السامرية تركّز على عواطفها فلذلك كانت تلك العواطف نقطة الضعف وهكذا كانت نقطة التحول « اذهبى ادعى زوجك » فإن نيقوديموس كان يركّز على العقل فهو معلم فى إسرائيل ، ولذلك قال له يسوع استخدم عقلك : « أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا » ، وكانت هذه نقطة التحول فى المناقشة .

وهكذا نرى كيف كان يسوع يدرس مكونات خصمه ونقاط قوته أو ضعفه قبل أن يتحدث إليه ، وكأنه يدخل إلى ميدان معركة ، وذلك حتى يتمكن من الانتصار.

ولعلنا نلاحظ أنه فى مناقشاتنا اليومية سواء فى بيوتنا أو عملنا أو مع أصدقائنا، نحن نستخدم مصطلحات الحرب وفكر الحرب حتى لو كانت المناقشات هادئة وبابتسامة عريضة ، لكن يتضح من دلالة الكلمات أنه على مدى التجارب الهائلة للإنسان فقد بنى خياله فى المناقشة على صورة الحرب .

الفصل الثانى

منظومة التصورات (التخيلات)

عندما تحدثنا فى الفصل السابق عن تصور الجدال حرب ، رأينا كيف أننا استخدمنا عبارات تنتمى إلى معجم المعركة مثل : مهاجمة موقف غير حصين ، استراتيجية ، خط هجومى جديد ، انتصار ، استسلام .. الخ . ولا شك أننا لاحظنا أن كل هذه التعبيرات تستخدم بطريقة تشكل منظومة منسجمة معاً للحديث عن الجدال بأسلوب المعركة . ولكى نفهم أكثر كيف أن وضع هذه التصورات فى شكل منظومة يمكن أن تفيدنا فى درس الكلمة المقدسة وتعطينا أبعاداً جديدة للمعنى المطلوب ، سندرس معاً تصور « الزمن على أنه مال أى أن له قيمة مادية كالمال » :

والعبارات التى نستخدمها فى هذا التصور هى كما يلى :

١ - إنك تجعلنى **أضيع** وقتى .

٢ - ليس لدى وقت **أمنحك إياه** .

٣ - **كلفنى** إصلاح السيارة **٣ ساعات** .

٤ - **أخذ منى** وقتاً كثيراً .

٥ - وقته ليس **ملكه** .

وبناء على هذا الفكر ، لنأخذ حديث يسوع عن الوقت ، ونحاول دراسته لنكتشف مفهوم يسوع للزمن . يقول : « ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى ما دام نهار . يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل » [١] . هذه الكلمات توضح أن الزمن فى مفهوم يسوع عبارة عن شئ له قيمة كبرى . وفى مكان آخر يقول : « أليست ساعات النهار اثنتى عشرة ساعة » [٢] ، وهنا يتصور أن الزمن فى فكر يسوع مورد محدود ، ثم

---

١ - إنجيل يوحنا ٩ : ٤

٢ - إنجيل يوحنا ١١ : ٩

لنأخذ الأمثلة التى قدمها يسوع عن الأجير وساعات العمل، فكل ساعة عمل تساوى مبلغاً من المال ، وفى الثقافة الحديثة تسعيرات التليفون والكهرباء والغاز . فنحن نتصرف كما لو كان الزمن شيئاً نفيساً ومورداً محدوداً كما لو كان مالاً أو يمكن ترجمته إلى مال ، لذلك فإننا نتخيل الزمن بهذه الطريقة . وهكذا نحن نفهم الزمن ونعيشه باعتباره شيئاً يستهلك ويصرف ويقاس ويستثمر بصورة جيدة أو سيئة ، ويتم توفيره أو إضاعته .

وإذا رجعنا إلى مثال السيد والعبيد الذى ضربه الرب يسوع عن ذلك السيد الذى دعى ثلاثة عبيد وأعطى الأول خمس وزنات (كمية من المال) والثانى وزنتين والثالث وزنة واحدة وعين لهم **زماناً** ثم عندما عاد السيد كانت المكافأة لمن استخدم الوزنات أو تاجر بها فى الزمن المعين له وربح . ثم كان اللوم على صاحب الوزنة الذى طمرها ولم يستخدمها وضيع الوقت بلا فائدة ، وهنا نجد القيمة الحقيقية للوقت ولضياعه. وتأكيد يسوع على أولئك الذين يستخدمون الزمن بصورة إيجابية ومفيدة والآخرين الذين لا يهتمون أو يشعرون بضياع الوقت .

وإن كنا فى مثل آخر عن الأُجراء فى إنجيل متى ٢٠ : ١ - ١٦ نجد العكس ، فالمثل يحكى أن صاحب الكرم خرج فى الصباح ليستأجر فعلة لكرمه ، فاتفق مع الفعلة الذين وجدهم على دينار فى اليوم ، وأرسلهم إلى كرمه ، ثم خرج ظهراً ورأى آخرين قياماً بطالين فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم ، وفى العصر كرر ما فعله فى الظهر . وأيضاً قبل نهاية اليوم بساعة وفى المساء طلب من وكيله أن يعطى الأجرة مبتدئاً من الآخرين إلى الأولين وأعطى الجميع ديناراً واحداً بغض النظر عن وقت العمل ، والمثل يوضح تذمر العمال على رب البيت وكان سبب تذمرهم هو أن الزمن يقاس بالمال ، فقد احتجوا بالقول إن هؤلاء الآخرين عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر ، إلا أن صاحب الكرم كانت له فكرة أخرى هى مراعاة **الحد الأدنى** للمعيشة عند العمال الفقراء

المعدمين أو البطالين ثم إنه يريد الانتهاء من المحصول فى أقرب وقت ممكن ، ومع أن من حقه أن يدفع أقل من دينار إلا أنه إنسان صالح يريد أن يساعد الجميع ، ورغم ذلك كان يحتاج إلى توضيح موقفه أمام العمال لأن العمل يقاس بالزمن ، وهكذا اعتبر أن ما أعطاه لمن لم يعملوا طوال النهار بمثابة تبرع أو استثناء عن الأصل وليس هو القاعدة فى التعامل .

وفى بستان جسثيمانى حزن الرب يسوع لأن تلاميذه لم يستطيعوا أن يسهروا معه ساعة واحدة ، فلقد كان لهذه الساعة قيمة ضخمة عند يسوع ليست كأى ساعة أخرى ذلك لأنه ذاهب إلى الصليب وكان يحتاج لأصدقائه فى هذه الساعة بالذات ، وهنا ندرك كيف أضاع التلاميذ هذه الساعة ، وكم كان حزن يسوع على إضاعتهم إياها ، فهذه الساعة أغلى من أيام وشهور وسنين .

وإذا حاولنا بعد كل هذه الأمثلة أن ندرك مفهوم يسوع عن الزمن نجد أن يسوع يعلم بأن الزمن له قيمة كبرى فى نفس الوقت الذى هو فيه مورد محدود ، لذلك علينا أن نستخدمه بأفضل صورة ممكنة قبل أن يتسرب من بين أيدينا ونندم عليه حيث لا نستطيع أن نستعيضه ، بل إن الرب يسوع وضع مبدأ معاقبة من لا يعرف كيف يستخدم وقته بصورة مفيدة ، إلا أن يسوع عاد ليضع حدوداً لهذا الأمر فى مَثَل الأجراء الذين أعطاهم صاحب الكرم ديناراً بغض النظر عن عدد ساعات العمل ، وكأن الرب يسوع يقول هنا إنه لابد من وضع حد أدنى لمعيشة الإنسان فى المجتمع ، وهذا الحد الأدنى يجب أن يكون متوفراً للجميع بغض النظر عما يقومون به ، فالكرامة الإنسانية وحق الإنسان فى الحياة حق أصيل ، أما بعد الحد الأدنى فليكن الحساب واضحاً ومبنياً على قدرة كل إنسان فى تنظيم وقته واستخدام مواهبه بالأسلوب الأمثل له وللآخرين ، إن أقرب نظرية اقتصادية لهذا الفكر هى نظرية « الطريق الثالث » والتى تنادى برفض الطريق الرأسمالى الذى يدهس الجميع والذى لا يكافئ إلا من يعمل ويتغاضى عن التأمين الاجتماعى والتأمين الصحى والحد

الأدنى للمعيشة ، وأيضاً رفض الطريق الشيوعى والذى فيه يتساوى الجميع فى الامتيازات والسلبيات دون النظر للإمكانات الفردية فى استخدام الوقت والعمل . وتنادى نظرية الطريق الثالث بأن يكون هنالك حد أدنى للمعيشة لكل المواطنين فى المسكن والعمل والصحة ثم تتفاوت بعد ذلك الدخول طبقاً للمواهب والتنظيم واستخدام الوقت .

إلا أنه توجد فكرة أخرى عن الزمن أعلنها يسوع وهى أن هناك أوقاتاً غالية الثمن جداً فيها يحتاج الإنسان إلى وقوف أحبائه بجانبه ، ويحتاج أن يرى أصدقاءه وهم يعضدونه أو يسمعونه ويشاركونه ، وغالباً ما تكون هذه الأوقات هى أوقات الحزن والتجارب والألم والمرض ... الخ .

ولا شك أن الزمن قيمة غالية ولا شك أنه يُستنفد فهو مورد محدود ، وهناك احتياج شديد لمعرفة قيمة الزمن وكيفية استثماره سواء فى خدمة الرب أو الآخرين من حولنا الذين يحتاجون إلى وقتنا الثمين ، فهو أمر من الأمور المهمة التى لا تلقى عناية كافية .

★ مفهوم الزمن عند بولس الرسول :

لا يختلف مفهوم بولس عن الزمن كثيراً عن مفهوم الرب يسوع ، فالزمن عند بولس يقل ويستنفد كلما أخذنا منه ولذلك يجب استثماره إذ يقول : « فأقول هذا أيها الإخوة الوقت منذ الآن مقصر » [1] . ولأن حياة الإنسان محدودة لذلك عليه أن يعمل ما يستطيع أن يعمله فى أسرع وقت أى ينتهز الفرصة المقدمة له لأنه يقول : « فى وقت مقبول سمعتك وفى يوم خلاص أعنتك . هوذا الآن وقت مقبول . هوذا الآن يوم خلاص » [2] . وأيضاً : « هذا وأنكم عارفون الوقت إنها ساعة لنستيقظ من النوم . فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا » [3] . والمعنى هنا أن الزمن يسير

١ - الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٧ : ٢٩
٢ - الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٦ : ٢
٣ - رسالة رومية ١٣ : ١١

فى اتجاه واحد أو كما يقولون (Arrow of time) أى أن الزمن يتجه كالسهم ولا يمكن إرجاعه أو تغيير مساره .

ما الذى يمكن أن ننقله اليوم من كلمات بولس فى عالم متغير ؟ يريد بولس أن يوضح هنا مفهوم الصراع مع الوقت وكيفية استخدامه قائلاً : « فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة » [١] . وكلمة مفتدين الوقت فى اليونانية exagorazo تعنى النزول إلى سوق مفتوح ومحاولة انتهاز أفضل عرض للبيع والشراء ، ولذلك يمكن ترجمتها cornering the market in opportunity ويفسرها Howson بالقول : « اشتر من السوق ما لا تستطيع شراءه بأرخص من ذلك ، استغل الفرصة عندما تجدها ولا تدعها تفلت منك » .

فالوقت يعنى فرصة متاحة ، فالأمر ليس مجرد افتداء الوقت بمعنى عدم إضاعته ، لكن بعض العلماء فهموا الفكرة بمعنى « شراء من آخرين » . فلابد أن ننظر للوقت كبضاعة ثمينة موضوعة فى أياد خطأ . إنهم بعض من البشر الذين لا يدركون أهمية الوقت ولذلك يقتلونه ، ونحن علينا أن نخلصه أى نشتريه منهم لنحييه وذلك باستخدامه بالأسلوب الصحيح . وهذا معنى افتداء الوقت أى إنقاذه وخلاصه .

فإذا كانت الحياة محدودة ، فعلينا أن نستثمرها أعظم استثمار . وفى تراثنا المصرى « الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك » و « الوقت من ذهب » .

إلا أن هنالك شيئاً هاماً لا يجب أن نغفله فى منظومة التصورات هذه ، وهى أن هذه التصورات أو التخيلات لا تمدنا سوى بفهم جزئى عن ما هو الزمن أو ما هو الجدل ، لكنها فى نفس الوقت تخفى مظاهر أخرى فى هذه التصورات ، فالزمن مثلاً ليس مالاً حقاً ، فإذا أعطيت بعضاً من وقتك فى محاولة فعل شئ ما ، ولم تحصل على نتيجة فإنه لا يمكنك استرداد هذا الوقت ، كذلك لا توجد بنوك يودع فيها الوقت،

---

١ - رسالة أفسس ٥ : ١٥ ، رسالة كولوسى ٤ : ٥

وأيضاً إن كان بإمكان شخص ما أن يمنح آخر الكثير من الوقت إلا أنه ليس بإمكان الآخر إرجاعه له حتى لو أعطاه نفس الكمية من الوقت . إذاً فلابد وأن نضع فى أذهاننا أن هذا التصور غير كاف إلى حد ما .

ولكى نفهم هذا علينا أن ندرك أن الأفكار أو المعانى (أشياء) والتعبيرات اللغوية (أوعية) والتواصل (إرسال) ، فالمتحدث يضع أفكاره (أشياء) داخل كلمات (أوعية) ويرسلها (عبر مجرى) إلى مستمع يخرج هذه الأفكار (الأشياء) من كلماتها (أوعيتها) .

ولذلك نقرأ فى الكتاب المقدس :

١ – ما أبعد أفكاره عن الفحص	(الفكر شئ يوضع فى إناء لفحصه)
٢ – وكان يكلمهم بأمثال	(الأمثال أوعية للأفكار)
٣ – لتصل إليك صلاتى	(الصلاة شئ مادى يصل إلى الله ليتسلمه)
٤ – ما لم تر عين وما لم تسمع به أذن	(يصعب على بولس وضع أفكاره فى كلمات) غير قادر على تكوين وعاء .
٥ – بالغداة أرفع صلاتى وأنتظر	(الصلاة شئ يرفع من أسفل إلى أعلى)

وكذلك هناك جمل لا تفهم إلا من السياق مثلاً قول يسوع : « الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون » [1] . فإذا أخذنا هذه الجملة خارج سياقها فيمكن أن تفهم بصورة حرفية ، على أن هناك حصاداً كثيراً وعمالاً قليلين ، ولكن بوضعها فى سياقها يمكن أن تفهم عن قلة عدد القادة أو الرعاة بالنسبة للجماهير الغفيرة التى تحتاج إلى عناية وخدمة .

---

١ - انجيل متى ٩ : ٣٧

بالإضافة إلى هذا هناك حالات قد تفيد فيها جملة أشياء مختلفة بالنسبة لأشخاص مختلفين ، فمثلاً قول بولس إنه « ليس يهودى ولا يونانى ليس عبد ولا حر ليس ذكر وأنثى » [1] . فجملة ليس ذكر وأنثى تفهم بالنسبة لامرأة فى صعيد مصر بطريقة تختلف عن امرأة فى شمال أمريكا أو أوروبا ، وأيضاً يفهمها الرجل الإفريقى أو العربى بشكل يختلف عن الرجل المكسيكى أو الأوروبى .. الخ .

وأيضاً بالنسبة للزمن ، فالبشر الذين سمعوا هذه الكلمات فى القرن الأول يختلف فهمهم عن البشر الذين سمعوها فى القرون الوسطى عن الذين يسمعونها اليوم ، إذن فالجملة هنا غير مستقلة بذاتها بالنسبة للكثيرين سواء الذى قالها أو الذى سمعها ، وعن القناعات السياسية والاجتماعية وعن الزمن الذى تقال فيه ، وبالتالى فإذا كانت الأفكار أشياء والكلمات أوانٍ فإنه بالإمكان أن نلبسها ألواناً مختلفة ورائعة أو نرتبها بصورة واضحة وجميلة .. الخ . ولهذا فعندما نقول إن تصوراً ما قد بُنى بواسطة استعارة مثل الزمن مال ، والجدال حرب ، فإننا نعنى أنه قد بنى جزئياً وأنه بالإمكان التوسع فى هذا البناء من نواحٍ معينة ولكننا لا نستطيع التوسع من نواح أخرى .

وبناء على ذلك يمكننا إعادة صياغة الأفكار اللاهوتية بلغة حديثة أو بلغة العصر ، وهذا ما تحتاجه الكنيسة اليوم .

---

١ - رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٣ : ٢٨

الفصل الثالث

التصورات الإتجاهية

فى الفصل السابق تحدثنا عن التصور الذى يبنى على تصور آخر مثل الزمن والمال أو الجدال والحرب .لكن هنالك مفهوماً آخر لا يبنى فيه التصور عن طريق تصور آخر ولكن هو عبارة عن منظومة متكاملة من التصورات التى ترتبط ببعضها البعض ، وهذه المنظومة ترتبط بالاتجاهات داخل - خارج ، أمام - وراء ، فوق - تحت ، عميق - سطحى ، مركزى - هامشى . وتنبع هذه الاتجاهات من كون أجسادنا لها هذا الشكل الذى هى عليه وتتعامل بطريقة طبيعية من خلال هذه الأبعاد والاتجاهات .

- وكمثال على ذلك « أمام ووراء » .

أمام	وراء
المستقبل أمام	الماضى وراء
النجاح أمام	الفشل وراء
الأمل أمام	اليأس وراء
الخلاص أمام	الخطية وراء

شكل (١)

يقول بولس الرسول : « ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام » [1] .وهذه الجملة تلخص كل المعانى الموضحة بالجدول (شكل ١) .

١ - رسالة بولس الرسول الى أهل فيلبى ٣ : ١٣ .

- وكمثال آخر « **خارج وداخل** » .

● « قبوراً مبيضة تظهرمن خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات »[1] .

الخداع من الخارج والحقيقة من الداخل .

● « ها أنذا واقف على الباب وأقرع إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه و هو معى» [2]. وهنا البرودة والجوع فى الخارج ، والدفء والشركة والشبع فى الداخل .

● « اطرحوه فى الظلمة الخارجية » [3] .

- «إذا فسد الملح فبماذا يصلح لا يصلح لأرض ولا لمزبلة فيطرحونه خارجاً» [4] .

وهاتان الآيتان الأخيرتان توضحان أن العقاب والعذاب والفساد فى الخارج ، والصلاح والمعنى والشبع فى االداخل .

- وكمثال ثالث « **عميق وسطحى** » .

● من الأعماق صرخت إليك يارب [5] .

● أبعد إلى العمق [6].

● لا تحكموا حسب الظاهر لكن احكم حكماً عادلاً.

● ياالعمق غنى الله [7].

وهنا نجد الصدق والعدل والغنى فى الأعماق ، والخداع والسطحية والاهتزاز على السطح .

---

١ - إنجيل متى ٢٣ : ٢٧
٢ - سفر الرؤيا ٣ : ٢٠
٣ - إنجيل متى ٢٢ : ١٣
٤ - إنجيل لوقا ١٤ : ٣٤ و ٣٥
٥ - سفر المزامير ١٣٠ : ١
٦ - إنجيل لوقا ٥ : ٤
٧ - رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١١ : ٣٣

– وكمثال أخير « *فوق وتحت* » .

● (السعادة والراحة فوق) « فقلت ليت لى جناحاً كالحمامة فأطير وأستريح »[1].
ونستخدم فى حياتنا اليومية تعبير « أشعر بأنى أطير من الفرح » .

● و (الشقاء والحزن تحت) « نفسى حزينة حتى الموت » [2]. ونستخدم تعبير « أشعر بأنى فى الحضيض » .

وهذا النوع من التصورات لم تأت اعتباطاً ، لكنها جاءت نتيجة خبرات الإنسان وتجاربه الثقافية والطبيعية .. وما يهمنا هو الاستخدام الكتابى لهذه التصورات .

وسوف نركز هنا على المثل الأخير (فوق وتحت) :

١ – *الخلاص فوق والخطية تحت* :

– ينبغى أن تولدوا من فوق [3] .

– أرسل من العلى فأخذنى نشلنى من مياه كثيرة أنقذنى[4] .

– لأنى إليك رفعت نفسى [5].

– أصعدنى من جب الهلاك من طين الحمأة [6] .

– أرفع عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى معونتى من عند الرب [7].

– من الأعماق صرخت إليك يارب [8].

---

١ – سفر المزامير ٥٥ : ٦
٢ – إنجيل متى ٢٦ : ٣٨
٣ – إنجيل يوحنا ٣ : ٧
٤ – سفر المزامير ١٨ : ١٦
٥ – سفر المزامير ١٤٣ : ٨
٦ – سفر المزامير ٤٠ : ٢
٧ – سفر المزامير ١٢١ : ١
٨ – سفر المزامير ١٣٠ : ١

وهنا نلاحظ أن الخطية والشقاء يرتبطان بالسقوط والغرق والموت ، بينما يرتبط الخلاص بالوقوف وبحالة عاطفية إيجابية .

٢ - *الوعى فوق واللاوعى تحت :*

- لماذا أنتم نيام . قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة [١].

- أيها الشاب لك أقول قم [٢].

- لعازر حبيبنا قد نام لكنى أذهب لأوقظه [٣].

- فصرخ وصرعه شديداً وخرج . فصار كميت حتى قال كثيرون إنه مات . فأمسكه يسوع بيده وأقامه فقام [٤].

والتصور الطبيعى هنا أن الإنسان ينام فى وضع التمدد (تحت) ويقوم حين يكون مستيقظاً (فوق) .

٣ - *السعادة والفرح فوق والشفاء والحزن تحت :*

- لأنه قد شبعت من المصائب نفسى وحياتى إلى الهاوية دنت . حُسبت مثل المنحدرين إلى الجب[٥] .

- صوت حبيبى هوذا آت طافراً على الجبال قافزاً على التلال [٦].

- لماذا أنت منحنية يا نفسى ولماذا تئنين فيّ ترجى الله لأنى بعد أحمده خلاص وجهى وإلهى [٧].

- أُختطف هذا إلى السماء الثالثة [٨] .

---

١ - إنجيل لوقا ٢٢ : ٤٦
٢ - إنجيل لوقا ٧ : ١٤
٣ - إنجيل يوحنا ١١ : ١١
٤ - إنجيل مرقس ٩ : ٢٦ و ٢٧
٥ - سفر المزامير ٨٨ : ٣ و ٤
٦ - سفر نشيد الأنشاد ٢ : ٨
٧ - سفر المزامير ٤٢ : ١١
٨ - الرسالة الثانية إلى كورنثوس ١٢:٢

- بسبب غضبك وسخطك لأنك حملتنى وطرحتنى [١].

- المقيم المسكين من التراب . الرافع البائس من المزبلة ليجلسه مع أشراف شعبه [٢].

٤ - المسيح فوق وابليس تحت :

- إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله [٣] .

- فقال لهم أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق [٤] .

- لأنى قد نزلت من السماء [٥].

- كيف سقطت من السماء يازهرة بنت الصبح [٦] .

- فقبض على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة وطرحه فى الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكى لا يضل الأمم فى ما بعد حتى تتم الألف السنة وبعد ذلك لابد أن يحل زماناً يسيراً [٧] .

- لذلك يقول إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات لكى يملأ الكل [٨].

٥ - الحب فوق والكراهية تحت :

- المحبة **تستر** كثرة من الخطايا [٩] .

---

١ - سفر المزامير ١٠٢ : ١٠

٢ - سفر المزامير ١١٣ : ٧ و ٨

٣ - رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسى ٣ : ١

٤ - إنجيل يوحنا ٨ : ٢٣

٥ - إنجيل يوحنا ٦ : ٣٨

٦ - سفر إشعياء ١٤ : ٢١

٧ - سفر الرؤيا ٢٠ : ٢ و ٣

٨ - رسالة بولس الرسول إلى أهل افسس ٤ : ٨ - ١٠

٩ - رسالة بطرس الرسول الأولى ٤ : ٨

- البغضة تهيج خصومات والمحبة **تستر** كل الذنوب [١].

- وتحتمل كل شئ وتصدق كل شئ وترجو كل شئ وتصبر على كل شئ ، المحبة لا تسقط أبداً [٢].

- ولكن إن كان لكم غيرة مرة وتحزب فى قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق . ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هى أرضية نفسانية شيطانية [٣].

٦ - *الهيمنة والقوة فوق ، والخضوع والضعف تحت :*

- لم يكن لك عليّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق [٤].

- يا صديق ارتفع إلى فوق[٥] .

- لأنى أنا أيضاً إنسان تحت سلطان . لى جند تحت يدى . أقول لهذا اذهب فيذهب ولآخر ايت فيأتى ولعبدى افعل هذا فيفعل [٦].

ولعلنا نلاحظ هنا أن هناك منظومتين متوازيتين لا تلتقيان : منظومة ما هو فوق ، والتى تتوازى مع ما هو تحت ، بمعنى أن الخلاص والوعى والسعادة والحب والقوة والمسيح فوق ، ويمكن أن نضع معهم النعمة النازلة من فوق والحق والحرية والإيمان المعطى من الله والعقل Logos أو حكمة الله .. وهكذا .

وإن الخطية واللاوعى والشقاء والكراهية والضعف وإبليس تحت ، ويمكن أن نضع معهم الشر وكل ما هو سلبى .

---

١ - سفر الأمثال ١٠ : ١٢

٢ - رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٣ : ٧ و ٨

٣ - رسالة يعقوب ٣ : ١٤ و ١٥

٤ - إنجيل يوحنا ١٩ : ١١

٥ - إنجيل لوقا ١٤ : ١٠

٦ - إنجيل متى ٨ : ٩

فالخلاص يتشابك مع الوعى والسعادة والحب والقوة وشخص المسيح فى منظومة واحدة لا تخطئها العين ، تتعامل وتتفاعل معاً فى انسجام كامل ، بينما الخطية واللاوعى والشقاء والكراهية والضعف وإبليس فى منظومة أخرى شكل (٢) .

(أ)	فوق	الخلاص ← الوعى ← السعادة ← الحب ← القوة ← المسيح
(ب)	تحت	الخطية ← اللاوعى ← الشقاء ← الكراهية ← الضعف ← إبليس

شكل ٢

وهذه الخلاصة تعنى الكثير بالنسبة لنا ، فهى توضح لنا أن الكتاب المقدس كان عاملاً أساسياً فى تكوين الخبرة والحضارة الإنسانية الطويلة ومعبراً عنها ، فقد اتفق معها أحياناً واختلف أحياناً أخرى وصححها فى معظم الأحيان ، لكن الثابت أنه لم يتجاهلها أو ينفصل عنها فى يوم من الأيام .

من كل ما سبق نستطيع أن ندرك أبعاداً جديدة لبعض المفاهيم اللاهوتية التى نعيش عليها ونمارسها :

❖ أولاً : مفهوم السعادة : (كيف تحقق السعادة ؟) .

بالنظر إلى الجدول شكل (٢) نكتشف أن السعادة من منظومة ما هو فوق ، بينما الخطية من منظومة ما هو تحت ، ولذلك نستطيع أن نقول بداءة إنه لا توجد سعادة مع الخطية وإذا حاول إنسان ما أن يحصل على سعادة عن طريق الخطية ، ففى هذه الحالة تكون السعادة مؤقتة أو لذة وقتية يتوهم الإنسان فيها أنه يرتفع إلى فوق إلا أنه ينهار بعد ذلك ، لأن الخطية تحت والسعادة فوق ، فالسعادة الحقيقية لا يمكن

الحصول عليها إلا فى إطار منظومة ما هو فوق (المسيح والخلاص والوعى والحب والقوة) (شكل ٢ أ) لأنه كصوت الشوك تحت القدر هكذا ضحك الجهال » [١].

يقول يسوع :« ولكن سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم رلا ينزع أحد فرحكم منكم » [٢] وهنا نجد ارتباط السعادة بالمسيح ، وأيضاً « أتكلم بهذا ليكون فرحى كاملاً فيهم » [٣] ، من الناحية الأخرى هناك من يظن أن السعادة فى المال أو فى الحياة المادية أو فى المتعة التى سوف تنتهى ، ولتصحيح هذا يقول يسوع : « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً » .والإشارة هنا إلى سعادة غير حقيقية، « ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد » [٤] . فالمسيح والسعادة تضمهما منظومة واحدة ، ويقول الكتاب عن الشاب الغنى إنه مضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة بينما يقول يسوع : « أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل » [٥] . فالسعادة الحقيقية هى فى الحب والوعى والخلاص والقوة الحقيقية وشخص المسيح، وهكذا تتحقق السعادة من خلال عطاء الذات والوعى بالوجود والمعنى فى الحياة والتمتع بخلاص الله ، وهذه هى القوة الحقيقية التى نتطلع إليها ، وهكذا من المستحيل أن نحقق سعادتنا من خلال منظومة ما هو تحت « إبليس والخطية والضعف واللاوعى » (شكل ٢ ب) .

❖ ثانياً : مفهوم الألم : (الألم الاختيارى = من يأخذ صليبه)

مع أننا نقول إنه لا يوجد شقاء مع الخلاص ، إلا أن هذا لا ينفى تألم المؤمن. لكن آلام المؤمن يستطيع أن يراها من خلال المسيح والخلاص والحب والوعى ، وهنا

---

١ - سفر الجامعة ٧ : ٦
٢ - إنجيل يوحنا ١٦ : ٢٢
٣ - إنجيل يوحنا ١٧ : ١٣
٤ - إنجيل يوحنا ٤ : ١٣ - ١٤
٥ - إنجيل يوحنا ١٠ : ١٠

يُرى الألم مصدراً للسعادة ، لذلك يقول يعقوب : « احسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة » [1] فى نفس الوقت فإن الألم الذى يجلب التعاسة والشقاء هو المرتبط بالكراهية والخطية والضعف وإبليس واللاوعى . فيقول الكتاب عن يهوذا : « ولما رأى أنه قد دين مضى وشنق نفسه » . وهذه هى التعاسة الحقيقية لأنها ارتبطت بإبليس والضعف النفسى واللاوعى ، بينما يقول عن بطرس إنه خرج خارجاً وبكى بكاءً مراً ، فهذا الألم كان للتنقية لأنه ارتبط بوعى بطرس بنظرة يسوع إليه « فالتفت ونظر إلى بطرس » ، وهنا ارتبط حب بطرس ليسوع وحب يسوع لبطرس مع الوعى والقوة ، فكان الألم هنا طريقاً للسعادة وليس العكس .

لذلك فآلام المؤمن لا يطلق عليها شقاء ، وهى تنتمى إلى المنظومة العليا ، منظومة الخلاص والوعى والسعادة والحب والقوة والمسيح (شكل ٢ أ) .

بينما الشقاء الحقيقى هو لذلك الإنسان الذى يمتلئ قلبه بالكراهية ، ويعيش الخطية ، ويشعر بالضعف ، ويحيا حياة بلا وعى تحت عبودية إبليس فى منظومة واحدة متكاملة (شكل ٢ ب) .

❖ ثالثاً : مفهوم الخلاص :

يقول بولس « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال كى لا يفتخر أحد » [2] .

من هذه الكلمات نكتشف أن الخلاص يرتبط فى منظومته مع المسيح والنعمة النازلة من فوق والإيمان المعطى من الله .ولذلك لا يوجد خلاص من أعمال الإنسان

---

١ - رسالة يعقوب ١ : ٢

٢ - رسالة أفسس ٢ : ٨ - ٩

حتى لو كانت صالحة لأن هذه الأعمال من أسفل ، ولا يمكن أن يتحقق الخلاص بدون المسيح الذى هو العلاقة الصحيحة بين أعلى وأسفل ، فقد نزل من أعلى لكى يرفع الإنسان « فالذى صعد هو الذى نزل » وبالتالى فالنتيجة الطبيعية أنه لا يوجد خلاص مع شقاء أو ضعف أو خطية أو إبليس أو عدم وعى . والذين يتصورون أنهم يمكن أن يحصلوا على الخلاص عن طريق الشقاء ويعيشون حياتهم فى ألم وزهد دون إحساس بالسعادة الحقيقية ، أو يشعرون بالخنوع والضعف أمام تحديات العصر ، أو يعيشون بالعاطفة الإنسانية ويهملون العقل أى يحاولون الحصول على الخلاص عن طريق تغييب العقل ، فهؤلاء واهمون فى بحثهم عن الخلاص ، فالخلاص لا يتحقق بدون الوعى (صحة العقل) والقوة مع الحب والسعادة والتى لا يمكن أن تتحقق إلا بالمسيح النازل من فوق والواهب حياة للعالم . أما الطريق العكسى فلن يصل إلى الخلاص بمعناه الحقيقى .

❖ رابعاً : مفهوم الوعى

والوعى هنا يعنى الصحيان أو الاستيقاظ ، وبالمعنى الأصح العقل اليقظ الصاحى وهو عكس اللاوعى أو حالة الغيبوبة والنوم . وهنا نرى دور العقل اليقظ فى منظومة « ما هو فوق » ، فمنظومة الخلاص والسعادة والحب والقوة لا تتحقق ولا تكتمل بدون العقل الواعى الذى يدرك أن الصليب هو قوة الله للخلاص فى الوقت الذى هو لغير الواعين عثرة وجهالة ، أما للمؤمنين فهو حكمة الله ، فالعقل الذى يستطيع أن يدرك حكمة الله أو يتفاعل مع عقل الله هو العقل الواعى « لذلك اختار الله جهال العالم » أو الذين اعتبرهم العالم جهالاً لأنهم قبلوا الصليب لكنهم هم فى الحقيقة أكثر حكمة من حكماء العالم ليخزى بهم أولئك الذين يعتبرون أنفسهم حكماء برفضهم لصليب المسيح . فكلمة جهال هنا لا تعنى أميين أو غير مثقفين ، لكن تعنى الذين دعاهم العالم

جهالاً وهم فى الحقيقة لهم العقل الواعى ، الذى يدرك حكمة الله .والعقل الواعى له دور رئيسى فى منظومة « ما هو فوق » ، فالعقل هو الذى يبحث لحياة صاحبه عن معنى يعيش عليه وليس المطلوب أن نكون أطفالاً محمولين بكل ريح تعليم ، بل أن نكون أطفالاً فى الشر وهو ما عبر عنه بولس الرسول بالقول : « أيها الإخوة لا تكونوا أولاداً فى أذهانكم بل كونوا أولاداً فى الشر ، أما فى الأذهان فكونوا كاملين » [١] . فبالعقل نكتشف الله ونمجده « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه » [٢] . وكل اكتشاف علمى أو إبداع هو تمجيد للخالق .

وبالعقل نحفظ علاقتنا بالله واختياراتنا معه من الشك أو الخلل : « ذو الرأى الممكن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكل » [٣] .وعندما يريد الله أن يرشدنا لشئ فهو يرشدنا من خلال العقل إذ يقول : « أعلمك وأرشدك الطريق التى تسلكها ، أنصحك عينى عليك » [٤] .

ولنلاحظ هنا أن التعليم والإرشاد والنصح كلها عمليات عقلية :

والغريب أنه يوجد تيار روحى اليوم يرفض دور العقل فى العلاقة مع الله ، ويضعه فى منظومة ما هو تحت مع إبليس والخطية والشقاء ... الخ ، ويضع العاطفة مع ما هو فوق . لكن هذا التيار وإن كان يغرى كثيرين للانضمام إليه بسبب رغبة البشر فى عدم استخدام عقولهم ، وكذلك الميل الطبيعى نحو الغيبيات ، إلا أنه لم يستطع أن يضيف شيئاً له قيمة أو نفعاً لرسالة المسيح ، فمعظم الذين ينتمون إليه يسهل ارتدادهم ويكونون محمولين بكل ريح تعليم ، بينما الذين اعتمدوا على عقولهم استطاعوا أن يقيموا صرح المسيحية على مدى التاريخ ، وأن يثبّتوا أركانها وأن يقفوا دائماً على أرض جديدة لا تتزحزح تحت أقدامهم ورائدهم فى هذا بولس الرسول

---

١ - رسالة بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس ١٤ : ٢٠

٢ - سفر المزامير ١٩ : ١

٣ - سفر إشعياء ٢٦ : ٣

٤ - سفر المزامير ٣٢ : ٨

الذى : « كان يحاج فى المجمع كل سبت ويقنع يهوداً ويونانيين » [1] ، وفى مرافعته دفاعاً عن نفسه أمام فستوس يقول : « لست أهذى أيها العزيز فستوس بل أنطق بكلمات الصدق والصحو » [2] ، وهكذا نرى أن الوعى لا يمكن أن يكون مع منظومة ما هو تحت ، بل مكانه الطبيعى مع منظومة ما هو فوق مع المسيح والخلاص والسعادة والقوة .. الخ .

❖ خامساً : مفهوم الحب :

والسؤال الذى يقابلنا الآن : لماذا وُضع الحب فى المنظومة العليا (ما فوق) ؟ فنحن نفهم من الكتاب أن الخلاص نزل من فوق كنعمة من الله ، وأن المسيح تجسد، وأن العقل الواعى بطبيعته من فوق ، وأن السعادة ترفرف فهى من فوق ، أما الحب فليس هناك شئ واضح يؤكد أنه من فوق ، لكن بالعودة إلى الكتاب المقدس نكتشف ما يلى :

عندما كان يسوع يتحدث إلى الجموع التى ملأت البيت الذى كان فيه فى كفر ناحوم جاءوا بمفلوج لكى يشفيه لكن أصدقاءه لم يستطيعوا أن يدخلوا من الباب فتسلقوا حتى السطح ونقبوا السقف وأنزلوه . وقد أعجب يسوع بإيمانهم وشفى الغلام [3] . وكلمة سقف فى اليونانية ، Stegé وهى تستخدم فى الكتاب المقدس فى أماكن أخرى للإشارة إلى أمر مثير للغاية ، فالفعل Stegé يعنى ليغطى ، والعمل الأصلى للسقف هو أنه يغطى أو يحمى ، ولقد استخدم بولس هذه الكلمة فى أصحاح المحبة عندما قال إن المحبة « تحتمل كل شئ وتصدق كل شئ وترجو كل شئ وتصبر على كل شئ المحبة لا تسقط أبداً [4] . والمعنى هنا أن المحبة سقف يحمى دائماً .

---

١ - سفر الأعمال ١٨ : ٤
٢- سفر الأعمال ٢٦ : ٢٥
٣ - إنجيل مرقس ٢ : ٤
٤ - الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١٣ : ٧

ويقول باركلى : إن السقف عندما يكون قوياً فهو يحتمل تقلبات الجو مهما كانت قاسية . ويقول بلاك ويلدر Black Welder إن المحبة تضع سقفاً على كل شئ ، لذلك فالمحبة تفعل أى شئ يفعله السقف فهى تتحمل أى ضغط أو كراهية وتحمى أولئك الذين تحت حمايتها ولا تفضح ضعفهم ، ولقد أضاف بولس :« إن كان آخرون شركاء فى السلطان عليكم أفلسنا نحن بالأولى لكننا لم نستعمل هذا السلطان بل نحتمل كل شئ لئلا نجعل عائقاً لإنجيل المسيح » [١] .وبولس يقول إنه سقف يتحمل فى محبته كل شئ حتى لا يعوق الإنجيل . يقول سفر:الأمثال :« المحبة تستر كل الذنوب » [٢] ، فكلمة تستر فى اليونانية Kaluptó تعنى أنك تلقى بقطعة قماش ضخمة (ملاءة - بطانية) فوق شئ بغرض تغطيته. وفى حوار بطرس مع المؤمنين لتشجيعهم على أن يكون حبهم قوياً وكاملاً استعاره هذه الصورة بقوله : « المحبة تستر كثرة من الخطايا » [٣] .وتعبير آخر جاء من داود :« طوبى للذى غفر إثمه وسترت خطيته » [٤] . وقد اقتبسه بولس فى رسالته لأهل رومية الأصحاح الرابع والعدد السابع :« طوبى للذين غفرت آثامهم » . لكن لكى يحدث هذا فهناك حاجة للتوبة : « أعترف لك بخطيئتى ولا أكتم إثمى . قلت أعترف للرب بذنبى وأنت رفعت آثام خطيتى » [٥] وأيضاً عندما رجع شعب إسرائيل إلى الله : « غفرت إثم شعبك سترت كل خطيتهم» [٦] .

وهكذا يتضح أن الحب عندما يأتى من الله من فوق يغطى خطايانا وضعفنا، وذلك عندما نتوب إليه ، وهكذا نقوم نحن بنفس الشئ فى علاقتنا ببعضنا البعض ، فيكون الحب كالسقف الذى يحمى من تقلبات الأجواء ويحتمل الأعاصير .

وهكذا نرى كيف كان الحب فى منظومة « ما هو فوق » ، والذى بدونه لا تكون سعادة أو خلاص أو قوة أو مسيح .

---

١ - الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٩ : ١٢
٢ - سفر الأمثال ١٠ : ١٢
٣ - رسالة بطرس الأولى ٤ : ٨
٤ - سفر المزامير ٣٢ : ١
٥ - سفر المزامير ٣٢ : ٥
٦ - سفر المزامير ٨٥ : ٢

❖ سادساً : مفهوم القوة :

من أكثر المفاهيم التى حدث بها خلط فى الخبرة البشرية مفهوم القوة ، فقد ارتبطت القوة كثيراً بإبليس والخطية وأحياناً بالكراهية ، لكن الكتاب المقدس كان واضحاً منذ البداية فى التأكيد على الفارق بين القوة الحقيقية والقوة غير الحقيقية . ولقد اعتبر الكتاب أن القوة المرتبطة بالكراهية أو بالخطية مثل قوة القتل أو التدمير أو إذلال الآخر أو احتقاره تعتبر ضعفاً وليست قوة بالمعنى الحقيقى ، ولذلك فإن أكبر انتصار للشر يتحقق عندما يستخدم الإنسان القوة التى يمتلكها لإفناء نفسه وإفناء عالمه ، كما حدث فى هيروشيما وذلك عندما ارتبطت القوة بالخطيئة ، أما إذا استخدمت القوة للإبداع وسعادة الإنسان فهنا تكمن القوة الحقيقية .

ويعلمنا الكتاب المقدس أنه يوجد فى العالم نظامان : نظام بشرى وآخر إلهى ، والنظام البشرى بكل ما يحمل من قوة للفناء أو للحرب أو .. الخ هو نظام يفنى، ويعبر الكتاب عن ذلك بالقول : « كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبَّت عليه » [1] .وهنا نرى موقف فناء لأن القوة ارتبطت بالخطيئة ، ويشعر النبى هنا باكتئاب لأنه ما فائدة الحياة الإنسانية بكل قوتها إن كانت ستفنى ؟ لكن يأتيه القول إن كلمة الله ضد الفناء الإنسانى وسوف تبقى إلى الأبد ، وهذه هى القوة الحقيقية : « وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد » [2] . فإذا كانت الأمم أشبه بقطرة ماء وأقل من العدم فإن الله فوق كل المخلوقات ، وهنا نستمع إلى شكوى خادم الرب قائلا : « قد اختفت طريقى عن الرب وفات حقى إلهى » [3] .وهى شكوى من اختفاء العدالة فى الأرض ، وتأتى الإجابة : « إن الله ليس عن فهمه فحص يعطى المعيى قدرة ولعديم القدرة يكثر شدة . الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون

---

١ - سفر إشعياء ٤٠ : ٦ و ٧

٢ - سفر إشعياء ٤٠ : ٨

٣ - سفر إشعياء ٤٠ : ٢٧

تعثراً ، وأما منتظرو الرب فيجددون قوة يرفعون أجنحة كالنسور يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيون »[1] .وهكذا ندرك أن النظام الإنسانى هو نظام الولادة والموت (الإنسان عشب) ، فالإنسان كائن عابر ، أجيال بعد أجيال يناضل ويقاسى ، يتمتع ويختفى ، ولذلك عندما طلب الله من النبى أن يتحدث إلى أمته قال لماذا أتحدث إليهم ؟ إنهم عشب « صوت قائل ناد . فقال بماذا أنادى ؟ كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل ييبس العشب وذبل الزهر »[2] .وإذا كان لدينا نفس فكر النبى فذلك يدفعنا إلى التساؤل لماذا نكتب ؟ ولماذا نعمل ؟ ولماذا نناضل من أجلهم ، إنهم عشب ؟ فماذا يهم إذا كان بعد سنوات قليلة سوف يفنى كل أولئك الذين كتبنا لهم وتحدثنا إليهم وناضلنا من أجلهم ؟ إنها القوة الفانية فى النظام أو وهم القوة .

إن هذه القوة ارتبطت بالخطيئة وبالتالى ارتبطت بالعقاب والفناء والدمار . لكن وسط هذا الفناء يأتى النظام الإلهى « طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض »[3] . إن أولئك الذين يراهم العالم ضعفاء ومظلومين هم القوة الحقيقية ، فخادم الرب المجروح إنسان الحزن والمحتقر من الناس المعلق على الصليب هو القوة التى لا تفنى . ذلك لأنها القوة المرتبطة بالحب وعطاء الذات فى منظومة واحدة . فالأضعف من وجهة نظر البشر هو الأقوى من وجهة نظر الله ، وأكثر المذلين هو الأكثر انتصاراً ، فالنظام الإنسانى التاريخى يقهر خادم الرب المتألم المخلِّص المصلوب .

إن خادم الرب ينتمى للنظام الإلهى نظام الغفران والخلود والعون الإلهى . إن القوة فى التاريخ تسقط لأنها مرتبطة بالزمن الزائل والكراهية والخطية ، لكن أولئك الذين يبدون ضعفاء هم الذين يشكلون التاريخ فى النهاية لأنهم مرتبطون بالنظام الخالد . لذلك عندما يطوِّب المسيح فى موعظته على الجبل المساكين والحزانى والذين يتألمون لأجل قضايا يعيشون لأجلها حتى فى داخل المؤسسات الدينية الفاسدة فهو

١ - سفر إشعياء ٤٠ : ٢٨ - ٣٠
٢ - سفر إشعياء ٤٠ : ٦ و ٧
٣ - إنجيل متى ٥ : ٥

يعلم أنهم الأقوى وأنهم القادرون على الاستمرار وأنهم هم الذين يشكلون التاريخ والمستقبل ، فهم القوة الحقيقية المرتبطة بالمسيح والحب والوعى فى منظومة واحدة لا تنفصل ، بل وعندما يطلب يسوع من تابعيه أن يديروا الخد الآخر وأن يعطوا الرداء وأن يسيروا الميل الثانى ، فذلك لأنهم أقوى من الآخر الذى يستخدم قوته الجسدية للتعبير عن نفسه تماماً كما يستخدم الحيوان القوى قوته. إن الأقوى يعالج الأضعف ولذلك فإن من يرد القوة بالقوة هو ضعيف وليس قوياً ، والأقوى هنا هو الذى يمتص الضربة الأولى ويعطى الرداء ويسير الميل الثانى ثم يقيم حواراً مع ذلك الإنسان الذى يبدو قوياً لكنه ضعيف نفسياً وفكرياً و روحياً وذلك حتى يتمكن من إصلاحه ، ولذلك عقَّب يسوع على كل ذلك بالقول : « لكى تكونوا مثل أبيكم الذى فى السموات ، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » [1] . فالله الأقوى يشرق بشمسه على الشرير حتى يرجع إليه ، والمؤمن يشرق بمحبته وتسامحه على الشرير الأضعف حتى يعدل مساره .

فالإنسان الذى ينتمى إلى الله ويبدو بمقاييس العالم ضعيفاً هو الإنسان القوى حقيقة والذى ينتمى إلى منظومة ما هو فوق (الله والمسيح والحب والوعى والقوة والخلاص والسعادة) ، وهو الذى يستخدم العلم والفن لأجل الإبداع ولأجل نمو الإنسان روحياً وفكرياً، ولأجل تحقيق القيم الإلهية الأخلاقية من حب وعطاء ذات وعدالة ومساواة .. الخ .

وهكذا نرى أنه وإن اتفق الكتاب مع الخبرات والحضارات الإنسانية فى كثير من الأحيان ، إلا أنه فى مرات أخرى كان الكتاب يصحح هذه الحضارات فى قيمها وفى خبراتها، وذلك مثل موقفه من مفهوم القوة والضعف . وللآن ترفض الكثير من الحضارات الإنسانية مفهوم الكتاب عن القوة ، وتتبنى فكرة القوة المادية والسلطان ومذلة الآخرين ..الخ ، حتى إن المؤسسات الدينية فى كثير من البلدان – وخاصة فى العالم الثالث –ومنها مصر وقعت فى هذا الخلط وتبنت لعبة صراع القوى game of

١ - إنجيل متى ٥ : ٤٥

power والتى لا يوجد مخرج منها إلا بالعودة إلى الكتاب ومفهومه عن القـــــوة الحقيقية والسلطان الحقيقى .

❖ سابعاً : مفهوم المسيح :

عندما يقوم إنسان ما بمحاولة لم يقم بها أحد من قبل وينجح فى الوصول إلى هدفه ، فإن ذلك يصبح أملاً وهدفاً لكثير من الرواد الذين يحاولون الوصول إلى آفاق جديدة للإنسانية ، والرائد الأول هو الذى يضع علامات على الطريق لمن يتبعونه ، هكذا كان إبراهيم بالنسبة لعشيرته عندما ترك أور الكلدانيين وخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتى وأيضاً كان موسى عندما قاد شعبه خروجاً من مصر إلى أرض الموعد . لكن هذه الفكرة تنطبق على شخص المسيح أكثر من أى شخص آخر ، فهو منذ أن كان ابن اثنى عشرعاماً « كان ينمو فى النعمة والقامة عند الله والناس » [(١)] . وقد كان بمثابة مكتشف الأرض الجديدة فقد كان متقدماً على جميع أقرانه فى مثل سنه ومعاصريه ، والرب يسوع هنا يدعى فى الكتاب المقدس « رئيس الحياة » [(٢)].والمعنى فى الأصل رأس أو قائد أو أول من يمضى فى الطريق لاكتشافه ، فلقد فتح الطريق الجديد للجنس البشرى وذلك عندما بدأ شيئاً لم يبدأه أحد من قبل . وسفر العبرانيين يدعوه : « رئيس خلاصهم » [(٣)] .وهو « رئيس إيماننا ومكمله » .وكلمة رئيس هنا تعنى الأول أو الرائد كما ذكرنا من قبل ، فهو رائد الخلاص أو مكتشف الخلاص ، وهو رائد الإيمان أو مكتشف الإيمان ، حتى فى دخوله للسماء فهو الذى فتح الطريق إلى هناك « حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد » [(٤)] .وقد اعتمد الكاتب فى هذا التعبير على فكر الركض فى ميدان

---

١ - إنجيل لوقا ٢ : ٥٢

٢ - سفر الأعمال ٣ : ١٥

٣ - الرسالة إلى العبرانيين ٢ : ١٠

٤ - الرسالة إلى العبرانيين ٦ : ٢٠

المعركة ، والمقصود هو الشخص الفدائى الرائد الذى يتقدم الجيش ليكتشف أفضل الطرق لمرور جيشه ، وهكذا كان يسوع يعد الطريق ويفتحه لنا . وكما يقول الكتاب : « ليس بأحد غيره الخلاص » ، فيسوع هو الإله المتجسد لفداء العالم هو الذى صنع لنا فداءً خلال ذبيحة جسده ، هو الذى فتح لنا الطريق إلى الله وهو رئيس الخلاص ورئيس الإيمان ومكمله ، لذلك كان لا يمكن أن تكتمل هذه المنظومة ، منظومة « ما هو فوق » بدون المسيح لأنه هو المركز والمصدر لها ، فهو مركز ومصدر الخلاص والوعى والسعادة والحب والقوة ، كما أن إبليس بالمقابل هو مركز ومصدر الخطية واللاوعى والشقاء والكراهية والضعف .

والحقيقة إن كل من يتبع يسوع عليه أن يكون رائداً ومكتشفاً ورائياً . ولقد أحس بولس بمثل هذه الأحاسيس ، أحس أنه رائد الكرازة بالإنجيل حتى أن سجنه كان عاملاً لانتشار الإنجيل وطلب من المؤمنين أن يتبعوا مثاله قائلاً : « ثم أريد أن تعلموا أيها الإخوة أن أمورى قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل حتى إن وثقى صارت ظاهرة فى المسيح فى كل دار الولاية وفى باقى الأماكن أجمع . وأكثر الإخوة وهم واثقون فى الرب بوثقى يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف » .[1] ولقد كان بولس دائماً فى الأمام ومرتفعاً عن الجميع ، ولقد درَّب بولس تيموثاوس على هذا وطلب منه أن يتقدم ويكون رائداً :« لكى يكون تقدمك ظاهراً فى كل شئ » [2] .وهو يطلب من كل مؤمن حقيقى أن يكون رائداً فى مجاله ، وبسبب هذه الريادة يُضطهد المؤمنون الحقيقيون حتى من أقرانهم وزملائهم غيرالقادرين على الرؤية والتقدم ، ولكن هذا هو المسيح كما نفهمه .

---

١ - الرسالة إلى فيلبى ١ : ١٢ - ١٤

٢ - الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٤ : ١٥

الفصل الرابع

الثقافة الفرعية
وتأثيرها على التصورات التي نعيش عليها

فى كل حضارة من الحضارات ، هناك ثقافات فرعية تنشأ بسبب ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية ، وتؤثر هذه الثقافات بقوة وعنف فى كيان وبناء الحضارة ، كما تغذى تصورات الإنسان التى يعيش عليها بمصطلحات ومواقف وتجارب تؤثر بشدة فى بناء تلك التصورات ، لكن بانتهاء الظروف التى أحدثتها مثل هذه الثقافات تعود تصورات الإنسان إلى ما كانت عليه .

وفى الخمسين سنة الأخيرة نشأت فى مصر ثقافات فرعية أثرت وبشدة فى بنية تصورات الإنسان المصرى والتى عاش عليها آلاف السنين ، وكان ذلك بسبب الحروب التى خاضها ضد إسرائيل فى ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ١٩٧٣ ، ثم بسبب هجرة المصريين إلى الخليج والعودة إلى مصر لأسباب اقتصادية ، فجلبوا معهم حضارة وقيماً مختلفة . وأيضاً اتساع ظاهرة المناطق العشوائية والحياة فى المقابر ، وتقلب السياسات من انغلاق كامل فى عهد عبد الناصر إلى انفتاح استهلاكى فى عهد السادات ، ومن الحرب مع إسرائيل إلى السلام ، ثم ارتفاع موجة المد الدينى والتطرف حتى بدايات التسعينيات .... كل هذه أنشأت ثقافات فرعية غيرت فى بنية التصورات التى يعيش الإنسان المصرى عليها ، ولنأخذ فى هذا المجال ، أكثر من مثل :

❖ مكانة الوعى :

لقد ذكرنا فى الفصل السابق أن الوعى فى التصور الإنسانى يوضع فيما هو فوق ، ولقد حدث هذا فعلاً فى التصور المصرى - خاصة فى مصر الحديثة - منذ أن بدأ محمد على والى مصر فى القرن التاسع عشر ينبر على أهمية العلم والتحضر والاتصال بأوروبا ، وقام بإرسال المصريين النابهين إلى فرنسا ، وتبعه فى ذلك سعيد وإسماعيل ، وظهر رفاعة الطهطاوى والإمام محمد عبده وبعدهما عباس محمود العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ .. الخ

وقامت حركة ضخمة تضع الوعى فى المرتبة العليا ، وتضع حرية الفكر والاجتهاد فى مكان أعلى ، وبسبب هذه الخلفية نجحت الكنيسة الإنجيلية فى مصر عندما جاءت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حيث كان هناك ترحيب بكل فكر جديد وتنوير، وبدأت الكنيسة بالمدرسة حيث الإعلاء لقيمة العقل والوعى ، وأصبح التعليم هو الهدف للرقى والرفعة لمعظم الشعب المصرى ، وكان التوقير والاحترام للألقاب العلمية لا يدانيه أى توقير أو تقدير آخر . إلا أنه وبسبب الحروب الكثيرة وتضارب السياسات والدكتاتورية والفقر بدأت فكرة الوعى تنحدر إلى أسفل وترتفع قيمة اللاوعى إلى أعلى ، وبظهور طبقات جديدة غنية من الحرفيين غير المتعلمين أو أولئك الذين عادوا من الخليج بدأت تظهر فى تصور وخيال الإنسان المصرى صورة جديدة للوعى واللاوعى ، فأصبح اللاوعى له اليد العليا فى خياله وفى تصوره ، وهنا ظهرت مصطلحات تعبر عن هذه التصورات ، مثل « عامل دماغ » والمقصود هنا إنسان يشرب الحشيش أو يشم الهيروين فيحلق فى الفضاء العالى . والدماغ هنا هو العقل ، وهكذا ارتفع اللاوعى وصار هو الدماغ الحقيقى أو العقل المطلوب ، فالإنسان يحتاج أن يغيب عن الوعى « فيعمل دماغ » وأصبح شرط الإبداع أن يتعاطى مخدراً ليشعر أنه يطير فى الهواء . فى نفس الوقت الذى أطلق فيه على الميكانيكى وسائق التاكسى لقب « مهندس » ولقب « دكتور » ، ويقال لقب « دكتور » بقصد السخرية

الشديدة من العلماء . وظهرت أفلام ومسلسلات تسخر من العلماء ، وهكذا نزل الوعى وأصبح فيما هو تحت ، ولم يعد الاحترام لصاحب الدرجة العلمية أو لفكرة قيمة . ثم عودة الأصولية الدينية وبقوة وارتفاع نغمة التكفير ومحاكمة الأفكار سواء فى المسيحية أو فى الإسلام . ومن أهم مظاهر ارتفاع اللاوعى وهبوط الوعى فى التصور الإنسانى هو انتشار الحركات الدينية التى تدعو إلى نسيان العالم والتحليق فى الفضاء وانتظار المعجزة والخوارق من الله وإلغاء العقل والوعى عند الإنسان ، فالالتجاء إلى الماضى والتحصن به - أو الالتجاء إلى الغيبيات - أعلى من شأن اللاوعى وجعل له اليد العليا ووضعه فى المنظومة العليا فى تصورات الإنسان المصرى فى الحقبة الأخيرة .

❖ مكانة الحب :

الحب فى الخبرة الإنسانية وفى الكتاب المقدس يوضع فى منظومة ما هو فوق ، أى مع الوعى والقوة والخلاص والسعادة والمسيح ، لكن فى الثقافة الفرعية يصبح الحب ضعفاً والعطاء خنوعاً والتعصب قوة ونفى الآخر إيماناً وحباً لله . ولأن المرأة هى مصدر الحب فلابد أن تأخذ مكانة دنيا وأن تتحجب وأن تتوارى وأن تذل ، وهنا يهبط مفهوم الحب ويقتصر على مفهوم الجنس فقط . ولذلك انتشرت المسرحيات الهزلية التى لا تقوم إلا على الإسقاطات الجنسية ، وانتشرت النكات الجنسية حتى فى أوساط المتدينين وبصورة ضخمة ، وانتشر الاغتصاب أو ممارسة الحب بالقوة ، وأصبح الإنسان يخجل من أن يذكر أنه يحب . وفى الثقافة الفرعية يتهم الرجل الجبان بأنه امرأة والشاب بأنه بنت ، وانتشر التعصب فى المدارس والجامعات وأصبح القوى هو الذى لا يغفر ولا يسامح . ولم يعد الحب قوة . وفى الدين أصبح إغراء الأشخاص أن يتركوا مذهبهم إلى مذهب آخر أو دينهم إلى دين آخر ليس بالإقناع أو بالحب ولكن بالإغراء المادى ، فلم يعد للحب قيمة .

وانتشر تعبير « بيئة » ، وفلان بيئة تعنى أنه من مستوى اجتماعى منحط مكروه التعامل معه ، وبعد أن كان تعبير بيئة يعطى معانٍ عن جمال الطبيعة من أنهار وخضرة ومناظر طبيعية جميلة إذ به ينحدر ويصبح تعبيراً عن انحطاط اجتماعى وكراهية واحتقار لكل من ينتمى إلى هذه الطبقة الاجتماعية . وانقسم المجتمع إلى « بيئة » و « كلاس » أى طبقة سفلى وأخرى عليا ، وانقسمت الكنيسة إلى مؤمنين وغير مؤمنين ، إلى متحررين ومحافظين .. الخ ، وأصبحنا نحاكم أفكار بعضنا بعضاً ونتسلط على بعضنا البعض ، الأكثرية على الأقلية ، والأعلى على الأسفل . وضاع الحب ، وعندما يحدث هذا فى مجتمع ما فهذا يعنى أن الحب فى تصور الإنسان قد سقط من أعلى إلى أسفل وأصبح فى منظومة ما هو تحت مع إبليس والخطية واللاوعى .

❖ مكانة إبليس :

فى الكتاب المقدس والخبرة الإنسانية نجد موقع إبليس دائماً فيما هو تحت مع الخطية والشقاء والكراهية ، لكن فى الثقافة الفرعية نجد إبليس أو الشيطان هو رمز للإنسان الماهر الذكى الذى يحقق ما يريد بأية صورة من الصور، لذلك انتشر تعبير « الولد ده جن » أو « الولد ده شيطان » أو عفريت ، وانتشرت الكتب التى تتحدث عن الجن والشياطين والزواج بين الإنس والجن وتسخير الجن لتحقيق أهداف الإنسان وانتشر تعبير « التحالف مع الشيطان » ، وظهر فيلم « الإنس والجن » وفيه يوضح قوة الجن وسيطرته على الإنسان ومحبته لامرأة يفعل أى شئ لأجلها .وأصبح رمز إبليس والشيطان على الفانلات « الـ تى شرت » بصورة واضحة ولا يخجل منها أحد بل يدفع فيها مالاً ليعلن أنه من أتباع الشيطان ، وظهرت عبادة الشيطان ، وأصبح الشيطان شخصاً عادياً يعيش معنا فى الكنيسة والشارع والبيت والسينما

والتليفزيون والمسرح ، وهكذا لا يخجل الإنسان فى الثقافة الفرعية فى أن يبدي إعجابه بالشيطان أو بإبليس ، وهكذا ترتفع مكانة إبليس فى تصورات الإنسان إلى منظومة ما هو فوق .

من كل ما سبق نستطيع أن نقول إن هناك ثقافات فرعية تؤثر فى تصورات الإنسان وتجعل المنظومة لديه مضطربة أو غير متوافقة فى بعض الأحيان ، أو غير منسجمة مع ما تربى عليه أو ما تعلمه من الكتاب المقدس . ولذلك نحتاج دائماً فى مثل هذه الحالات إلى أن نعود إلى الكتاب المقدس باختباراتنا وذلك للقيام بضبط المنظومة التصورية أو الخيالية لدينا وذلك له أهمية كبرى حتى لا نكتشف فجأة أننا متناقضون مع أنفسنا ، فعندما نسلك سلوكاً ما يكون من نتاج الثقافة الفرعية مثل الجرى خلف الاستهلاك واقتناعنا بأن السعادة تتحقق فى امتلاك هذه السيارة أو ذلك المنزل كما تقول لنا إعلانات التليفزيون وكما نرى المحيطين بنا يفعلون ، فعندئذ يترسخ فى تصوراتنا التى نعيش عليها أن السعادة فى الأشياء وليس فى الأشخاص . وهكذا يتغير لاهوتنا دون وعى منا ، فنحن قد نشأنا وتعلمنا أن مصدر السعادة هو الله والآخر « تحب الرب إلهك من كل قلبك ... وتحب قريبك كنفسك » ، لذلك علينا من وقت لآخر أن نضبط تصوراتنا على الكتاب المقدس وعلى خبراتنا المتوارثة أو ثقافتنا الأصلية وعندئذ ننسجم مع أنفسنا .

وبالإضافة إلى الثقافات الفرعية وخطورتها على منظومة التصورات ، هناك طوائف من البشر تشترك فى قيم أساسية أو لها منظومة تصورية خاصة بها تدخل فى صراع مع المنظومة التصورية العامة ، مثلا النظام الرهبانى وكذلك «البيوريتانز» أو « التطهريين » فى لاهوت الإصلاح ، وذلك فى نظرتهم للحب الإلهى والمرأة والتقشف . وإن كان هذا التوجه يتعارض مع المنظومة العامة إلا أنه ينسجم فى أن الخلاص فوق والمسيح والحب (بمعناه الخاص لديهم) والسعادة (بمعناها لديهم) فوق . ومثل هذه الطوائف لا تتعارض كلياً مع المنظومة فيما هو فوق وما هو تحت ،

لكنها تسبب بلبلة ضخمة فى الوسط الإنسانى العام . والتعارض الحقيقى يحدث ليس من أعضاء الرهبانية أو من التطهريين المصلحين وذلك لأنهم يعيشون منفصلين ، لكن من أولئك الذين تتشكل تصوراتهم بالمعانى الرهبانية والبيوريتانز ، ويعيشون فى وسط الكنيسة العامة ويحاولون فرض معانى التقشف أو الروحانية الرهبانية أو تصوراتهم عن الحب و السعادة على الآخرين وعلى النظام العام . والطامة الكبرى عندما يعتلى مثل هؤلاء السلطة فى الكنيسة ، أو عندما تسيطر الحركة التصوفية على الإسلام .

الفصل الخامس

الإستعارات المادية

تحدثنا فى الفصلين السابقين عن التصورات (الاستعارات) الاتجاهية مثل فوق - تحت ، أمام - وراء ، عميق - سطحى ، بأساس غنى لفهم الاستعارات بواسطة الاتجاه ، إلا أن الاتجاه لا يكفى . فالتجربة الإنسانية مع الأشياء الطبيعية والمادية تعطينا بعداً جديداً للفهم وهو بعد قد يتجاوز الاتجاه البسيط . إن فهم اختباراتنا وتجاربنا عن طريق الأشياء والمواد يسمح لنا باختيار عناصر اختباراتنا ومعالجتها باعتبارها كيانات منفصلة ، وحين نتمكن من وضع تعريف لاختباراتنا باعتبارها كيانات منفصلة أو مواد ، فإنه يصبح بوسعنا أن نجمعها ونصنفها ونفسرها ونحدد مقدارها (كمها) وبهذا نعتبرها أشياء تنتمى إلينا .

وعندما تكون الأشياء المادية غير معزولة أو غير محددة بصورة واضحة ، فنحن نقوم بتصنيفها وتحديدها حتى نستطيع أن نميز مثلاً بين الجبال والتلال والحواجز ، فحاجات الإنسان تقتضى منه وضع حدود صناعية تجعل من الظواهر الطبيعية (أشياء) منعزلة كما نحن أيضاً كيانات محدودة بمساحة معينة .

وكما تنتج الاختبارات الإنسانية تصورات اتجاهية « فوق تحت » ، « أمام وراء » ، .. كما رأينا من قبل فإن الأشياء الفيزيائية (وبخاصة أجسادنا) تعتبر مصدراً لأسس استعارات مادية متنوعة جداً أى أنها تعطينا طرقاً للنظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار ... الخ باعتبارها كيانات ومواد .

وعندما نستخدم هذا الأسلوب فى تفسيرنا للكتاب المقدس ، فنعطى للخير والشر والحب والكراهية والعدل والظلم والحزن والفرح تصوراً ككيانات مادية ، فسوف تتضح لنا الصورة بأكثر تفصيل ، ونفهم الكلمة المقدسة بأبعاد جديدة .

فمثلاً عندما نقول :

❖ الخطية كيان مادى :

أ - كل قتلاها أقوياء [1] .	فهى شخص يقتل أو إله حرب
ب - الخطية المحيطة بنا بسهولة [2].	شئ سهل التناول .
جـ - الشهوة إذا حبلت تلد خطية [3] .	لشهوة امرأة أو حيوان تلد والخطية طفل أو حيوان يولد .
د - أما الشهوات الشبابية فاهرب منها [4] .	مكان يجب الهروب منه .
هـ - لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية[5]	وحش تصارع معه .

فى جميع هذه الآيات يسمح لنا اعتبار الخطية كياناً مادياً (إنسان - حيوان - آلة) بأن نحيل إليه ونعرف كميته وأن نعين منه جزءاً خاصاً وأن نرى منه سبباً وأن نتصرف بحذر تجاهه وربما بأن نعتقد بأننا نفهمه جيداً .

فالاستعارات المادية كهذه ضرورية فى محاولتنا تقديم تحليل عقلانى لاختباراتنا فى ضوء الكتاب المقدس .

---

١ - أمثال ٧ : ٢٦
٢ - الرسالة إلى العبرانيين ١٢ : ١
٣ - رسالة يعقوب ١ : ١٥
٤ - الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٢ : ٢٢
٥ - الرسالة إلى العبرانين ١٢ : ٣

❖ الذهن آلة :

تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم[١] .	تحتاج إلى تجديد وإلا صدئت
أرنم بالروح وبالذهن أيضاً [٢].	الذهن آلة موسيقية يرنم بها
يحفظ قلوبكم وأفكاركم [٣].	آلة تحتاج إلى صيانة دائمة .

وهنا استعارة تصوّر الذهن كآلة وبذلك يمكننا أن نتصور الذهن كما لو كان بإمكانه أن يشتغل أو يتوقف ، وأن له مستوى من الفاعلية بل وله قدرة إنتاجية وآلية داخلية ومصدر للطاقة وله ما يتحكم فى عمله ، وهكذا فالعقل أساس تغيير الإنسان « تغيروا عن شكلكم بتجديد الذهن » ، ولذلك فهو يحتاج دائماً إلى تجديد مستمر وصيانة دائمة ليكون تغيير الشكل بكفاءة عالية ومطلوبة ، وعندما يدير بروح الله هذه الآلة يحدث التجديد والتغيير المستمر . « ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » [٤].

❖ القلب إناء زجاجي :

القلب المنكسر والمنسحق لا تحتقره يا الله [٥] .

قلباً نقياً اخلق فىَّ يا الله [٦] .

من يصعد إلى جبل الرب .. الطاهر اليدين والنقى القلب [٧] .

طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله [٨] .

يا ابنى اعطنى قلبك [٩].

---

١ - رسالة بولس الرسول إلى رومية ١٢ : ٢
٢ - رسالة بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس ١٤ : ١٥
٣ - رسالة بولس الرسول إلى فيلبى ٤ : ٧
٤ - رسالة بولس الرسول الثانية إلى كورنثوس ٣ : ١٨
٥ - سفر المزامير ٥١ : ١٧
٦ - سفر المزامير ٥١ : ١٠
٧ - سفر المزامير ٢٤ : ٤
٨ - إنجيل متى ٥ : ٨
٩ - سفر الأمثال ٢٣ : ٢٦

وهنا استعارة تمثِّل القلب كإناء زجاجى مما يجعلنا نتخيل القلب وهو نظيف يلمع ، فيحتاج منا دائماً إلى تنقية ، وهو يمكن أن ينكسر أو ينسحق فى حالة تعرضه لضغط غير متوقع ، فيصبح بلا فائدة ومحتقر من الله والناس ، أى غير مستخدم ، وهذا يحدث عندما ينهار الإنسان أمام التجربة ، والمرنم هنا يطلب من الله أن يلم شتاته حتى لو كان منسحقاً ليمكن استخدامه ثانية ، والإناء النظيف الجيد هو الذى يمكن استخدامه فى بيت الرب ، والشفافية تجعل الله واضحاً فى الإناء ، والقلب كإناء يمكن تسليمه لله بل يطلبه الله كما هو (اعطنى قلبك) .

❖ المسيح مكان مريح (قصر - حديقة) :

تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين وثقيلى الأحمال وأنا أريحكم [1].

من يقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً [2] .

إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة [3] .

إن دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى [4] .

أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى [5] .

وهذا التصور يعطى لخيالنا أن ينطلق ، فندرك أن الإنسان عندما يكون فى المسيح فهو يجد مساحات واسعة من الراحة النفسية والروحية والإمكانات الجديدة التى تضاف إليه ، وسوف يتمتع هذا الإنسان بالحياة الجديدة المختلفة ، فكما كان آدم فى الجنة (الخليقة القديمة) فالإنسان فى المسيح خليقة جديدة . وعندما يدخل الإنسان إلى هذا المكان لن يخرج ثانية لا لأنه سوف يسجن ، لكن لأن الإنسان سوف

---

١ - إنجيل متى ١٨ : ٢٨

٢ - إنجيل يوحنا ٦ : ٣٧

٣ - الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٥ : ١٧

٤ - إنجيل يوحنا ١٠ : ٩

٥ - الرسالة إلى فيليبى ٤ : ١٣

يفضل البقاء فى الشركة الكاملة مع المسيح ، بل ستكون له الحرية كاملة فى أن يدخل ويخرج ويجد مرعى وستضاف إليه قدرات جديدة لم يكن يتوقعها أو يحلم بها (أستطيع كل شئ فى المسيح) .

❖ المؤمن وعاء :

لكى يملأ الكل الله [1] .

امتلئوا بالروح [2] .

لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى [3] .

وطالباً لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته [4] .

وهذا التصور يعطينا أن ندرك بأن المؤمن مطالب بأن يمتلئ إلى كل ملء الله ، لكن هذا الملء يتم بالتدريج ، فعلينا أن نمتلئ من المعرفة أو معرفة مشيئته . ثم إن سكنى كلمة الله فى المؤمن تختلف من شخص إلى آخر فلنمتلئ بغنى أى بكثرة ولنمتلئ من روح الله القدوس ، وفى هذا الامتلاء نستخدم أذهاننا وقلوبنا وأرواحنا ... الخ .

❖ الإيمان مجال رؤية (حقل) :

عادة نحن نتصور مجالنا البصرى حقلاً ، وحدود هذا الحقل هو ما نستطيع أن نراه وأبعد من حدود الحقل لا نستطيع أن نرى ، وهذا التصور طبيعى وهو ناتج عن كوننا ننظر إلى إقليم معين (قطعة أرض ، مساحة مكسوة .. الخ) ، له مجال رؤية محدود ولذلك نقول دخل القطار مجال رؤيتى الآن أو أن السيارة خارج حدود رؤيتى ، أو أنها على مرمى البصر ... وهكذا.

---

١ - الرسالة إلى أفسس ٤ : ١٠

٢ - الرسالة إلى أفسس ٥ : ١٨

٣ - الرسالة إلى كولوسى ٣ : ١٦

٤ - الرسالة إلى كولوسى ١ : ٩

والإيمان المسيحى هو مجال رؤية متسع ، ولذلك نقرأ :

الإيمان هو الإيقان بأمور لا ترى [١] .

بالإيمان إبراهيم لما دعى أطاع .. فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتى [٢] .

بالإيمان ترك مصر .. تشدد كأنه يرى من لا يرى [٣] .

ويعلق كاتب العبرانيين على سحابة الشهود الذين تشددوا بالإيمان بالقول إن هؤلاء جميعاً لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها ، ويقول أيضاً فى الإيمان مات هؤلاء ، أى أن الإيمان وسَّع مجال رؤيتهم ليروا ما لا يراه الآخرون ، فالإيمان المسيحى ليس خرافة أو وهماً أو تخيلات لكنه اتساع مساحة رؤية لتصبح رؤية الإنسان المحدود رؤية غير محدودة ، وكما تحدثنا من قبل بأن كلمة الثقة التى يستخدمها كاتب العبرانيين فى تعبيره عن الإيمان « أما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى » ، تعنى عقد ملكية لقطعة أرض مكتوباً فيه مكانها وحدودها وإن كان مالكها لم يرها بعد بعينيه ، وهكذا ندرك أن مفهوم الإيمان هو اتساع رؤية الإنسان أو امتداد مجال رؤيته .

من كل ما سبق نستطيع أن ندرك كيف أن الاستعارات المادية ساعدتنا كثيراً فى فهم المعانى لكلمات مثل الخطية والإيمان أو الذهن والقلب . الخ .

وقد استطعنا من خلال هذا الإسناد أن ندرك أبعاداً جديدة لمعانى هذه الكلمات ونخرج منها بمفاهيم متجددة لحياتنا اليومية .

---

١ - الرسالة إلى العبرانيين ١١ : ١

٢ - الرسالة إلى العبرانيين ١١ : ٨

٣ - الرسالة إلى العبرانيين ١١ : ٢٧

الفصل السادس

أهمية التصورات (الاستعارات) لأجل فهم أعمق للكتاب المقدس

رأينا فيما سبق أن تصوراتنا الخيالية والناتجة عن اختباراتنا مثل المشاعر والأفكار والزمن ، هي تصورات غير واضحة المعالم وغير محددة بوضوح ، ولذلك نحن نحتاج إلى أن نفهمها بتحديد أكثر ووضوح أعمق وذلك من خلال تصورات (استعارات) أخرى يمكن أن نفهمها بوضوح مثل الاستعارات الاتجاهية فوق - تحت ، والاستعارات المادية وعاء - إناء - حقل .. الخ . وبضم هذه الاستعارات معاً تكون منظومة تجعلنا أكثر فهماً لاختباراتنا كما أوضحنا من قبل .

وعندما بدأ علماء الكتاب المقدس محاولة تفسير الكتاب المقدس ، كان تركيزهم الأساسي في تحليل اللغة على معاني الكلمات كما جاءت في أصولها اللغوية ، وكما وردت مرادفاتها في المعاجم اللغوية المختلفة والمتعددة والمتنوعة ، وأيضاً كان تركيزهم على قواعد اللغة وتطور الكلمات عبر العصور والحضارات المختلفة ، لكن لم يقم أحد بمحاولة تحليل عام للكيفية التي يفهم بها الناس التصورات العادية من خلال البلاغة اللغوية كالاستعارة والكناية .. الخ . مثل الجدال حرب ، أو الزمن مال ، أو الحب جنون ، أو الحب حرب .. الخ ، فعندما نحاول أن نفسر جملة هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به ..أو انظروا أية محبة أعطانا الأب حتى ندعى أولاد الله، فإننا لا نجد في قواميس اللغة ما يعطينا التصور الخيالي للعلاقة بين الأب والابن والتي تدخل في تجاربنا الخاصة واختباراتنا في الحضارة الإنسانية ، وكيف استعار الكتاب المقدس فكرة هذه العلاقة من الاختبار الإنساني

لكى يدرك الإنسان العادى سواء كان ابناً أو أباً ما فعله الله لأجله ، فهنا الحب عطاء أو بذل (حتى بذل ابنه الوحيد) ، والحب خلاص (لكى لا يهلك كل من يؤمن به) والحب خلود (بل تكون له الحياة الأبدية) . كل هذه استعارات لا تربط القواميس اللغوية بينها وبين الحب ، فعندما نفتح القاموس تحت كلمة الحب نجد : الغرام - العشق - الوله .. الخ ، ولا نجد العطاء - الخلاص - الخلود .. الخ .

ما نستخلصه من هذا أن هذا الأسلوب فى التفسير يهتم أساساً بالطريقة التى يفهم بها الناس تجاربهم واختباراتهم ، وتأتى اللغة هنا باعتبارها مصدراً للمعطيات التى يمكن أن تقود إلى مبادئ عامة بغرض الفهم ، والمبادئ العامة تستلزم منظومات كاملة من التصورات وليس مجرد كلمات أو تصورات فردية بعينها . وهكذا نستطيع أن نفهم كيف ربط الإنسان بين نوع من التجربة الإنسانية مثل علاقته بالزمن مع تجربة أخرى مثل علاقته بالمال وكوّن منهما استعارة الزمن مال .

وهكذا نرى أن الاهتمام بالكيفية التى نفهم بها الكتاب المقدس من خلال تجاربنا ، تتطلب منا ليس مجرد تصور لغوى يقتصر على معانى الكلمات ، بل يتجاوز ذلك إلى طبيعة تجاربنا والتى يمكن أن نحددها فى ثلاثة أبعاد :

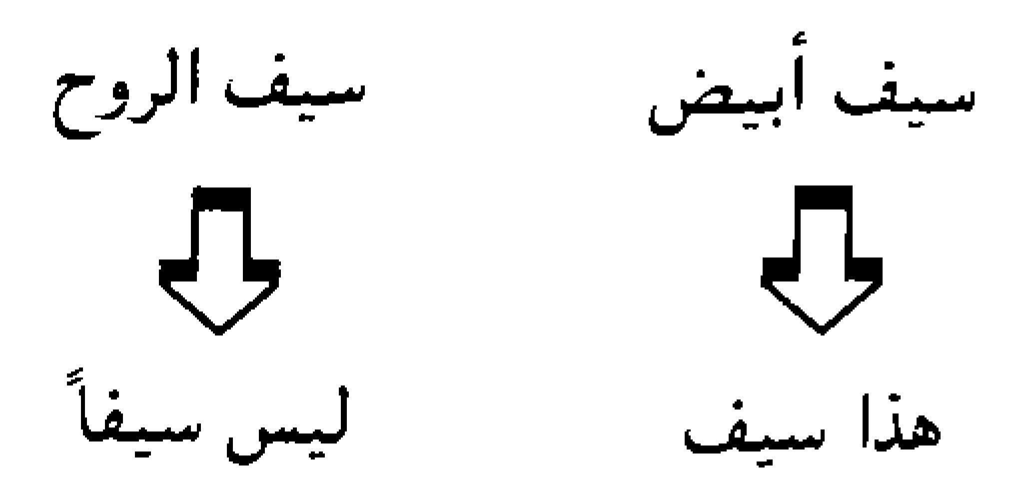
البعد الأول : تفاعلاتنا مع ذواتنا : ***الجهاز الإدراكى والحركى ، القدرات الذهنية ، التركيب الوجدانى .. الخ***
البعد الثانى : تفاعلاتنا مع محيطنا الفيزيائى (الطبيعى) : ***مثل التحرك ، معالجة الأشياء ، الأكل ، اللعب .. الخ***
البعد الثالث : تفاعلاتنا مع الآخرين داخل ثقافاتنا : ***مثل المؤسسات الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية .. الخ وأيضاً مع الأفراد***

وبناء عليه ، فالتصورات التى نستخدمها بواسطة استعارة مجال لفهم مجال آخر

هى تلك التى توافق أنواعاً طبيعية فى التجربة ، والتى من الصعب تحديدها أو فهمها بمفردها مثل : الحب - الإيمان - الأفكار - الزمن - السعادة - السلطة - الخطية - الشر - الصلاح - العقل - المنزلة الاجتماعية - .. الخ ، فهذه كلها تصورات تحتاج إلى مجال آخر أكثر تحديداً أو وضوحاً لكى نفهمها بوضوح .

أما المجالات الأخرى والأكثر تحديداً والتى خرجت أيضاً من تجربتنا ، فهى المواد مثل البناء - الغذاء .. الخ ، أو الاتجاهات مثل فوق وتحت .. الخ . فهذه المجالات تشير إلى أنواع طبيعية من الاختبار الإنسانى ، لكنها تتميز عن الأولى بأن لها بناءً واضحاً ، ولها بنية داخلية مناسبة ، وهكذا يستخدمها الإنسان لتوضيح المفاهيم غير المحددة ،وهو ما يصلح تماماً لشرح تعبيرات ومصطلحات الكتاب المقدس مثل : إيمان - شر - خطية - صلاح - الزمن .. الخ .

ولكى نكوِّن فكرة واضحة عن كيفية شرح أحد تعبيرات الكتاب المقدس لنأخذ مثلاً التعبير الكتابى سيف الروح أو ترس الإيمان أو خوذة الخلاص [1] . فإذا بحثنا عن كلمة سيف فى القواميس اللغوية نجد أنها تشرح كلمة سيف بشكل لا علاقة له بالروح ، فالسيف يوصف فى هذه القواميس بلونه أو طوله أو نوعه .. الخ ، وفقهاء اللغة يقولون إنه لا يوجد ما يسمى سيف الروح ، أو ترس الإيمان ، إما سيف أو لا سيف إما درع أو لا درع ويمكن أن نضعها كما يلى :



وسيف الروح مقصود به هنا الكتاب المقدس ، ولذلك فيمكن القول بأن الكتاب المقدس سيف غير حقيقى ، لكن هذا التشبيه بين السيف والكتاب المقدس يستبعد

١ - رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٦ : ١٧

أشياء ويقرِّب أشياء أخرى ، فهو يستبعد أن يكون الكتاب المقدس حيواناً أو نباتاً أو إنساناً ويقرِّب أن الكتاب المقدس شئ مادى له صفات السيف وذلك كما يلى :

١ - الكلمة المنطوقة أو المكتوبة فى الإدراك البشرى تساوى سيفاً .

٢ - إننا نمسك به كما نمسك بالسيف (البعد الحركى) .

٣ - إننا نستخدمه فى الحرب الروحية . كما يستخدم السيف فى الحرب المادية .

فى نفس الوقت يلغى هذا التشبيه بعض صفات السيف مثل الخصائص الوظيفية ، فالكتاب المقدس لا يقتل أحداً حرفياً ، وكذلك يلغى نوعية السيف ، فكل سيف مصنوع بطريقة مختلفة بحسب الهدف من استخدامه والعصر الذى صنع فيه ، وهكذا نرى أن لهذا التصور « الكتاب المقدس سيف » خمسة أبعاد على الأقل يحافظ هذا الوصف على ثلاثة منها ويلغى اثنين ، فقد حافظ هذا التصور على البعد الإدراكى الكلمة سيف (الشبه) والبعد الحركى (الإمساك به كما السيف) ، والبعد الغرضى(الحرب الروحية) واستبعد الوظيفة (القتل) والنوعية (الشكل وسنة الصنع) .

وهذا يبين أننا نبنى تصور السيف انطلاقاً من الخصائص متعددة الأبعاد وهى البعد الإدراكى والنشاط الحركى والبعد العرضى والبعد الوظيفى .. الخ .

وإذا نظرنا إلى هذه الخصائص الإدراكية وخصائص النشاط الحركى والخصائص الغرضية وغيرها وجدنا أنها ليست خصائص ملازمة للسيوف أو الدروع أو الخوذ فى حد ذاتها ، لكنها ترتبط بالكيفية التى تتفاعل بها السيوف والدروع والخوذ ، وهذا يبين تصور هذه الأسلحة كما يفهمها الناس بشكل محدد وذلك من خلال خصائص تفاعلية ترتبط بالإدراك وبالنشاط الحركى وبالغرض الوظيفى . ومن هنا فتصوراتنا للأشياء شأنها شأن تصوراتنا للأحداث والأنشطة تتكون من اختباراتنا وتجاربنا فى داخل الحضارات والثقافات الإنسانية التى

نعيشها ، وهذا يعطينا أبعاداً جديدة وعميقة عند قراءة الكلمة المقدسة ومحاولة فهمها بعمق .

وقبل أن نترك هذه الجزئية لابد وأن نتحدث عن الشكل والمضمون ، فالكلام يتتبع ترتيباً معيناً ، وكما قلنا من قبل أن الكلمات وعاء للأفكار، فكلما اتسع الوعاء (الشكل) أعطى مضموناً وافياً ، وهذا يختلف عما لو كان ضيقاً ، وكلما زاد الشكل زاد المحتوى ، فمثلاً عندما نقول : جرى وجرى وجرى إلى أن سقط فتكرار كلمة جرى تعطى أن الجرى كان أطول مما تعطيه لو ذكر كلمة جرى بمفردها ، وما يهمنا هنا فى فهم الكتاب المقدس هو التكرار لأن الرب يسوع قصد أن يكرر كلمات كثيرة مثل الحق . الحق . أقول لكم أو يا سمعان بن يونا أتحبنى ؟ وقد كررها ثلاث مرات ، وكذلك مرثا . مرثا ، أو إلهى . إلهى لماذا تركتنى ، أيضاً سمعان سمعان هوذا الشيطان قد طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة .. وهكذا .

فماذا كان يعنى يسوع من التكرار ؟ وماذا فهم المستمع فى كل موقف كان يسوع يكرر فيه كلمة واحدة أكثر من مرة . هنا يقول لنا علماء البلاغة إن اتساع الشكل كوعاء يعطى غنى للمضمون ، أو بمعنى آخر فى كثرة الشكل كثرة المحتوى أو المضمون كما يلى :

** إذا كان التكرار لفعل ، فالفعل يمثل عمل وتكرار . الفعل يعنى الكثير من العمل وربما إلى أن ينتهى العمل .

** أما إذا كان التكرار لصيغة ، فالصيغة تمثل خاصية . والكثير من الصيغة يعنى الكثير من هذه الخاصية .

** أما إذا كان التكرار لاسم شئ من نوع معين ، فالكثير من هذا الاسم يعنى الكثير من الأشياء من هذا النوع . أما إذا كان الاسم شيئاً صغيراً ، فالكثير من هذا الاسم يشير إلى شئ أصغر ، أما إذا كان اسم شخص فلابد أن لا ينفصل عن سياق الجملة لكى يتضح الهدف من التكرار .

وإذا طبقنا هذه القواعد لفهم ماذا كان يقصد يسوع من تكرار كلمة معينة نجد مايلي:

❖ أولاً : تكرار الفعل :

لقد كرر يسوع فعل « ارع » لبطرس ثلاث مرات [1] ، وهذا الفعل يشير إلى عمل الرعاية ، وتكرار الفعل يعنى أن هناك كثيراً من العمل أمام بطرس لينجزه ، وأن عليه أن يعمل حتى ينتهى هذا العمل أو الإنجاز الذى كان يسوع من الناحية الأخرى يرى أنه لن ينتهى بل سيستمر حتى بعد أن ينتهى بطرس . لذلك كان التكرار إشارة إلى كثرة العمل والحاجة إلى تكريس الذات لهذا العمل والتصميم على إكماله ، لذلك كرر يسوع هذا الفعل لبطرس ثلاث مرات : إن كنت تحبنى « ارع غنمى » .

أما تكرار الفعل فى التساؤل أتحبنى ؟ أو تكرار إجابة بطرس « أحبك » ثلاث مرات فهى أيضاً تدل على أن المحبة فعل أو عمل لا ينتهى ويحتاج إلى جهد ضخم ، وكأن يسوع يقول لبطرس : إن المحبة ليست بالكلام ، لقد قلت لى قبلاً إنى سأموت معك ، لكنك أنكرتنى ثلاث مرات ، والآن نحن أمام المحبة كفعل وليس كاسم ، بل كفعل مضارع مستمر. فلم يقل يا سمعان هل أحببتنى ؟ ولم يقل له يا سمعان هل سوف تحبنى ؟ لكنه قال يا سمعان أتحبنى ؟ وجاءت الإجابة فى نفس الزمن أحبك . أحبك . أحبك . فعل متكرر والفعل يمثل عمل ، وتكرار الفعل يعنى الكثير من العمل وإلى أن ينتهى هذا العمل .

ثانياً : تكرار الصفة :

أما إذا كان التكرار لصفة مثل « الحق - الحق » أقول لكم ، فالصفة تمثل خاصية والكثير من الصفة يعنى الكثير من الخاصية ، وعندما يقول يسوع : « الحق - الحق » فالشكل هنا يجعل المضمون أو المحتوى كثيراً أى كمية أكثر من نطقها مرة

---

١ - إنجيل يوحنا ٢١ : ١٥ و ١٦ و ١٧

واحدة . والحق يعنى أيضاً العدل ، وأخيراً يعنى الحقيقة المُطلقة . وكان الرب يسوع يكرر هذه الكلمة قبل أن يُدل بحقيقة معينة خطيرة مثل :

١ - الحق - الحق « أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » [١] .

٢ - الحق - الحق « أقول لكم إنى أنا باب الخراف » [٢] .

٣ - الحق - الحق « أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء » [٣] .

٤ - الحق - الحق « أقول لكم لايقدرالابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الأب يعمل » [٤]

٥ - الحق - الحق « أقول لكم إن الذى لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص » [٥] .

٦ - الحق - الحق « أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتَمُت فهى تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير» [٦] .

٧ - الحق - الحق « أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده» [٧] .

٨ - الحق - الحق « أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمنى » [٨] .

٩ - الحق -الحق « أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية » [٩] .

١٠ - الحق - الحق « أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » [١٠] .

١١ - الحق - الحق « أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » [١١] .

---

١ - إنجيل يوحنا ٨ : ٥٨
٢ - إنجيل يوحنا ١٠ : ٧
٣ - إنجيل يوحنا ٦ : ٣٢
٤ - إنجيل يوحنا ٥ : ١٩
٥ - إنجيل يوحنا ١٠ - ١
٦ - إنجيل يوحنا ١٢ : ٤
٧ - إنجيل يوحنا ١٣ : ١٦
٨ - إنجيل يوحنا ١٣ : ٢١
٩ - إنجيل يوحنا ٥ : ٢٤
١٠ - إنجيل يوحنا ٣ : ٣
١١ - إنجيل يوحنا ٣ : ٥

تكرار صفة الحق فى كلمات المسيح تعنى زيادة المضمون أو المحتوى من الحق الذى سوف يتفوه به . وتنقسم الجمل التى سبقتها صفة « الحق - الحق » إلى ثلاثة أقسام :

١ - قسم خاص بإعلانات يسوع عن نفسه عامة ومعظمها عن أنه ابن الله .

٢ - وآخر عن موضوعات لاهوتية عامة .

٣ - وثالث يخص الذين يسمعونه .

** بالنسبة للقسم الأول : إعلانات يسوع عن نفسه :

ولأن هذه الإعلانات صعبة على المستمع ، أراد يسوع أن يُزيد مساحة الشكل لكى يحمل مضموناً أكبر وكأنه يقول : إنى أقول حقاً مضاعفاً أرجو أن تستوعبوه . وإن كلماتى هذه صادقة وعادلة وحقيقة مطلقة . ويقع تحت هذا القسم تعبيرات : « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » ، « أبى يعطيكم المن من السماء » ، إنى أنا باب الخراف .. الخ .

** أما الجزء الثانى من كلمات يسوع فكانت خاصة بموضوعات لاهوتية عامة مثل :

« الحق - الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » [١] .

« الحق - الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » [٢] .

« إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها » [٣] .

وهذه التعاليم من أساسيات الفكر المسيحى ، فهو يتحدث عن الولادة من فوق

---

١ - إنجيل يوحنا ٣ : ٣
٢ - إنجيل يوحنا ٣ : ٥
٣ - إنجيل يوحنا ١٢ : ٢٤

وملكوت السماوات والصليب ، وهذا محتوى ضخم وخطير جداً . وأراد يسوع أن يوسع الشكل بتكرار كلمة الحق لكى يوحى بضخامة المضمون .

** أما الجزء الثالث فهو خاص بمستمعيه :

ليس عبد أفضل من سيده ⟵	وهنا يعالج الغرور عند التلاميذ.
إن واحداً منكم سيسلمنى ⟵	خيانة الصديق وهو أقسى اختبار يمكن أن يجتاز فيه إنسان ما .
من يسمع كلامى يؤمن بالذى أرسلنى ⟵	وعد لكل من يسمع ويؤمن فله حياة أبدية .

وأيضاً هذه المواقف مصيرية بالنسبة للمستمعين ، سواء كان موقف الغرور أو الخيانة أو الالتصاق بالمسيح .ومضمون الحق هنا متسع ويحتاج إلى شكل متسع .

ثالثاً : تكرار الاسم :

ولقد كرر يسوع على الصليب « إلهى - إلهى لماذا تركتنى » والواضح من التكرار هنا وكأنه يوقظ الله أو يجعله ينتبه لأنه قد نسيه . فقد وسَّع الشكل هنا بتكرار كلمة إلهى لكى يحتوى المضمون على أكبر كمّ من الحزن والألم والوحدة . إنه ينادى الله وكأنه بعيد عنه .

أما تكرار « سمعان - سمعان هوذا الشيطان قد طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة ». فالإكثار من هذا الاسم (سمعان) يشير إلى التصغير ، وهذا لكى يعطى المضمون مساحة أصغر فى ذهن وعقل سمعان والتلاميذ، ، وهو هنا يتحدث إلى بطرس باسمه القديم إشارة إلى ما هو أصغر، فبطرس أكبر من سمعان . والتكرار هنا تحذير وتصغير لبطرس لكى ينتبه أن حجمه يتصاغر .

أما مرثا – مرثا فقد كرر الرب اسم مرثا أيضاً للتصغير ، أى أنها تهتم بأشياء أقل أهمية . « أنتِ تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ، ولكن الحاجة إلى واحد فاختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها » .

وهكذا نستطيع أن نكتشف الأبعاد العميقة التى تعطيها لنا بلاغة اللغة فى فهم كلمة الله .

الفصل السابع

الاستعارات الإبداعية

تحدثنا فى الفصول السابقة عن منظومة الاستعارات التى أبدعها خيال الإنسان لكى يعبِّر بها عن القيم التى يعيش عليها، وذلك من خلال حضارته ، وقد انعكس هذا على اللغة اليومية وهى نفس اللغة التى عبر بها الكتاب المقدس عما يحتويه من موضوعات وقصص وأشعار .. الخ .

ولكن من المفيد أن نعرف أن هناك استعارات توجد خارج منظومة الاستعارات المتواترة أو المتفق عليها ، وهى ما يطلق عليها التصورات أو الاستعارات الإبداعية . وهذا النوع من الاستعارات كفيل بأن يعطينا فهماً جيداً للكتاب المقدس فى ضوء فهمنا لاختباراتنا وتجاربنا ، كما يعطى معنى جديداً لماضينا ولنشاطنا اليومى ثم لما نعتقد به ونفهمه .

ولكى نفهم هذا لنأخذ مثالاً من كلمات بولس الرسول التى تقول :« اسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح وأسلم نفسه لأجلنا »[1] . ونحاول أن نستخرج من هذه الآية التصور الخيالى أو الاستعارات الموجودة بها والتى نجدها كما يلى :

- اسلكوا : فعل أمر يراد به عمل جماعى مشترك ، أى أسلوب للسير معاً كجماعة منظمة يحتاج إلى نوع من الجدية والتعاون .

١ - رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٥ : ١

- فى المحبة : والمحبة هنا تمثل الطريق الذى يجب أن يسلكوا فيه ، فالتصور هنا أو الاستعارة « المحبة طريق » .

- كما أحبنا المسيح : عمل إبداعى لأن الإبداع هو النشاط الذى لم يقم به أحد من قبل ، ومحبة يسوع للإنسان عمل إبداعى لم يسبقه أحد إليه ولم يتصوره أحد من قبل . والمطلوب من الجماعة الإبداع فى الحب ، فليس المطلوب هو أن يموت كل واحد فى الجماعة لأجل الآخر موتاً حرفياً كما فعل المسيح ، لكن أن يعبر الواحد للآخر عن محبته بأسلوب إبداعى وخلاق لم يسبقه إليه أحد من قبل كما فعل المسيح عندما أراد أن يعبر عن محبته لنا .

من كل هذا نستطيع أن نخرج بالتصور الجديد أو الاستعارة الجديدة التالية : الحب طريق يحتاج إلى جهد فنى مشترك ، أو الحب طريق لعمل إبداعى مشترك .

ولا شك أن هذا التصور قوى وملائم لاختباراتنا كبشر فى ضوء الحضارة التى نعيش فيها، ذلك لأنها تعطى لنا معنىً جديداً . وهذا التصور أو الاستعارة لها تداعيات ، فهى تتضمن تصورات أخرى أو إثباتات مادية حرفية لما تحمله من معنى ، فعندما تفكر جماعة من المؤمنين فى محاولة لفهم قول بولس : « اسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح وأسلم نفسه لأجلنا » كعمل إبداعى مشترك، فهنا يتداعى إلى ذهنها الجمعى التصور الذى تعيشه عن العمل الإبداعى المشترك ، أو ما يسمى بالعمل الجماعى ، وهل هو ناجح فى بيئتها أم لا ؟ وهل له قيمة معينة ؟ أو أنه بلا قيمة وقد ثبت فشله مع مرورالزمن . إن الحكم على العمل الجماعى لدينا يأتى من اختبارات الجماعة المتراكمة ، وتاريخ البلد والكنيسة ، وهل القيمة العليا فى مجتمعها تمجد العمل الجماعى المشترك ؟ أم تمجد العمل الفردى ؟ ثم يأتى بعد ذلك تصور الجماعة للإبداع والفن ، وهل هو مقبول لديها أم مرفوض ... وهكذا .

وبناء على كل ما سبق تكتشف الجماعة المنوط بها تنفيذ مثل هذه الوصية مدى

صعوبة أو سهولة تحقيقها عملياً ، أو بمعنى آخر إمكانية تطبيقها ، فإذا كانت الجماعة فى حضارتها الإنسانية تمجد العمل الجماعى وتحترم الإبداع ، فسوف تبدأ الجماعة فى مناقشة كيفية وطرق تنفيذ الوصية أما إذا كان العكس فسوف تبقى هذه الوصية معلقة فى الهواء موضوعاً رائعاً للوعظ دون أن يتم التعامل معه فى الحياة العملية اليومية .

وإذا فكرنا فى التداعيات التى يمكن أن تعطيها لنا استعارة « الحب عمل إبداعى مشترك » والتى تعبِّر عن وصية بولس : « اسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح وأسلم نفسه لأجلنا » نجدها كما يلى :

- الحب طريق .
- الحب عمل .
- الحب نشاط .
- يتطلب الحب التعاون .
- يقتضى الحب الإخلاص .
- يتطلب الحب التفاهم .
- يتطلب الحب أخلاقاً .
- الحب مسئولية مشتركة .
- يتطلب الحب الصبر.
- ينطوى الحب على القيم والأهداف المشتركة .
- يتطلب الحب التضحية .
- يحمل الحب دائماً إحساساً بالإحباط .
- يتطلب الحب تواصلاً .

- الحب يُحترم لذاته أولاً .
- يفترض الحب إبداعاً .
- يقتضى الحب وجود تصور جمالى مشترك .
- تجربة الحب لا تتكرر .
- لا يتم اكتساب الحب بواسطة وصفة جاهزة .
- الحب تعبير عن حقيقتك .
- الحب عمل إدارى .
- يخلق الحب واقعاً معيناً .
- يعكس الحب كيفية رؤيتك للعالم .
- قد يكون الحب مؤقتاً أو دائماً .
- يحتاج الحب إلى رصيد .
- يخلق الحب ارتياحاً جمالياً مقتسماً نتيجة جهود مشتركة .

وهنا نلاحظ أن بعض التداعيات هى تداعيات استعارية جمالية مثل الحب تجربة إبداعية وبعضها ليس كذلك مثل « الحب يعنى مسئولية مشتركة » ، وقد يكون لكل من هذه التداعيات تداعياً إضافياً ، والنتيجة أننا سنحصل على شبكة واسعة ومنسجمة من التداعيات التى قد تتفق بشكل عام مع تجارب الحب عندنا وقد لا تتفق ، فإذا اتفقت هذه الشبكة مع (تجارب الحب لدينا) فإن هذه التجارب ستكون كلاً منسجماً يساعد على استرجاع تجاربنا فى الحب وإحيائها رابطاً بينها كما ترشدنا فى تجاربنا المقبلة ، فإذا اتفقت هذه التداعيات مع ما يحدث فى كنائسنا، فسوف تفيدنا فى إحياء تجارب الكنيسة السابقة فى الحب والشركة والعمل المشترك، أما إذا لم تتفق فسوف تظل مجرد كلمات تتكرر بعيداً عن الواقع وغير قادرة على إحياء الماضى أو تقييم الحاضر أو إرشادنا فى تجارب المستقبل .

ولنحاول الآن النظر بدقة في ما نعنيه بعمليات « الاسترجاع » في تصور « الحب طريق إبداعى مشترك » .

أولاً : يسلط هذا التصور الضوء على سمات معينة ويحذف سمات أخرى في الحب :

وكمثال على ذلك فإن الجانب الإيجابى هنا والذى يظهر كأولوية واضحة يأتى من خلال تصور الحب عمل جماعى أو عمل فنى إبداعى وإدارى ، وعلى الجانب الآخر نجد أن هذا التصور يحذف أو يحجب مظاهر أخرى فى الحب تعتبر سلبية ، فالمظاهر العاطفية فى الحب - حسب اختبارنا الواقعى - لا يمكن أن نضعها تحت تحكم عقل أراده المحبون ، فمثلاً يوجد تصور آخر للحب يسلب الإرادة أو العقل كقول عروس النشيد لحبيبها فى سفر نشيد الأنشاد « اجذبنى وراءك فنجرى » [1] أو تصور الحب كمرض مثل استعارة (الحب مرض) فى قولها: « فإنى مريضة حباً » [2]. فهنا الحب شئ لا يمكن التحكم فيه بل هو يتحكم فى المحب فيسلب إرادته أو يجعله عليلاً .والتعبير اللغوى الشهير « فلان سقط فى الحب » يعنى عدم قدرة الإنسان على التوازن . فهو سقط رغماً عنه ولم تكن لديه القدرة على التفكير أو إرادة اتخاذ القرار.

كل هذه التصورات تحمّل الحب مسئولية ما نعانى منه من سلبية وعدم تحكم ونقص قدرات . أما التركيز على « اسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح وأسلم نفسه من أجلنا » أو « حبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا » (تحول الحب إلى مسئولية للعمل الجماعى المشترك والإبداع ورسم الأهداف والبناء والمساعدة .. الخ) ، فهذا العمل الفنى الإبداعى المشترك للحب يقدم تنظيماً لأهم تجارب الحب ، كما يقدم نقداً وتصحيحاً لتصوراتنا الاجتماعية والحضارية عن الحب .

---

١ - سفر نشيد الأنشاد ١ : ٤

٢ - سفر نشيد الأنشاد ٢ : ٥

ثانياً : يستدعي هذا التصور «الحب طريق عمل فنى أو إبداعى مشترك» تداعيات أخرى :

فكما يستبعد هذا التصور بعض سمات الحب كما ذكرنا قبلاً ، فإنه يستدعى فى نفس الوقت تصورات أخرى متعددة مثل العمل معاً ، أو رسم الأهداف المشتركة، وكذلك يستدعى مظاهر تعتبرأكثر دقة ، فعندما نقول : « الحب طريق عمل » ، فإن الأمر لا يتعلق بأى نوع من العمل مثل تصنيع دراجة ، لكنه عمل يتطلب إقامة توازن خاص بين الإيجابية والسلبية بما يتلاءم مع الإبداع الفنى ، كما نجد أن الهدف المرسوم ليس كأى هدف مبتذل بل إنه هدف إبداعى مشترك .

وهو ما وضحه بولس الرسول بأسلوب رفيع فى حديثه عن الكنيسة كجسد المسيح ، وقد وضعها فى شكل عمل فنى إبداعى مشترك بالقول : « كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هى جسد واحد كذلك المسيح أيضاً لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً وجميعنا سقينا روحاً واحداً فإن الجسد أيضاً ليس عضواً واحداً بل أعضاء كثيرة إن قالت الرِجل لأنى لست يداً لست من الجسد أفلم تكن لذلك من الجسد وإن قالت الأذن لأنى لست عيناً لست من الجسد أفلم تكن لذلك من الجسد لو كان كل الجسد عيناً فأين السمع لو كان الكل سمعاً فأين الشم وأما الآن فقد وضع الله الأعضاء كل واحد منها فى الجسد كما أراد ولكن لو كان جميعها عضواً واحداً فأين الجسد فالآن أعضاء كثيرة ولكن جسد واحد لا تقدر العين أن تقول لليد لا حاجة لى إليك أو الرأس أيضاً للرِجلين لا حاجة لى إليكما بل بالأولى أعضاء الجسد التى تظهر أضعف هى ضرورية وأعضاء الجسد التى نحسب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل وأما الجميلة فينا فليس لها احتياج لكن الله مزج الجسد معطياً الناقص كرامة أفضل لكى لا يكون انشقاق فى الجسد بل تهتم الأعضاء اهتماماً واحداً بعضها لبعض فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه ، وإن كان عضو واحد يكرم فجميع

الأعضاء تفرح معه وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً »[1] .

ثالثاً : هذا التصور « الحب طريق عمل فنى مشترك » يعطى الحب معنى جديداً :

ذلك لأن هذا التصور يسلط الضوء على أهم تجربة حب فى التاريخ البشرى ، وهى تجربة تجسد الله وموته حباً ، وبهذا يجعل كل تجربة بشرية مشابهة منسجمة مع هذه التجربة فى منظومة واحدة حتى لو لم تصل إلى درجتها القصوى فى الوقت الذى فيه يستبعد هذا التصور أى تجارب أخرى للحب لا تنسجم مع هذه المنظومة مثل استبعاد الحب لأجل امتيازات يحملها المحبوب من جمال أو شخصية مميزة ، ويستبعد أيضاً الحب الذى يأخذ أكثر مما يعطى .. الخ ، وهو بهذا يعطى الحب معنى جديداً . وإذا كانت التداعيات التى يقدمها هذا التصور تنسجم مع تجاربنا فى الحب وتنال احترامنا عندئذ فسوف تكتسب مصداقية وثقلاً ويستتبع ذلك أن يتحول الحب عند كل من يؤمن بهذا الفكر إلى فهم وتقييم لتجارب الحب التى اجتازها فى الماضى، وكما ينطبق هذا على الفرد ينطبق أيضاً على المجتمع الكنسى بل والمجتمع بشكل عام، وعندئذ يقود هذا المفهوم الجماعة التى تؤمن به إلى عمل إبداعى مشترك يشكل مستقبلها .

رابعاً : هذا التصور مسئولية من يتبناه :

إن كل من يؤمن بهذا التصور عن الحب عليه أن يتحمل مسئوليته ذلك لأن هذا التصور يسمح بتصرفات معينة ويبرر بعض الاستنتاجات التى نصل إليها ويساعدنا على تحديد أهدافنا ، فالحب عمل فنى إبداعى مشترك : « اسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح » ، يملى علينا تصرفات واستنتاجات وأهدافاً لا يمليها تصور ، إن الحب مرض أو جنون أو سقوط ، فإذا كان الحب مرضاً أو جنوناً فلن أركز كل

---

١ - رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٢ : ١٢ - ٢٧

جهودى على أن أحافظ عليه بل أحاول الشفاء منه ، أما إذا كان الحب عملاً فإنه يتطلب نشاطاً وإذا كان عملاً فنياً فإنه يقتضى نوعاً خاصاً من النشاط ، وإذا كان مشتركاً فإن نوع هذا النشاط يكون أكثر تقيداً وتخصصاً ، ولذلك يقول بولس الرسول : « فوضع الله أناساً فى الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين ثم قوات ، وبعد ذلك مواهب شفاء أعواناً تدابير وأنواع ألسنة ، ألعل الجميع رسل ، ألعل الجميع أنبياء ، ألعل الجميع معلمون ، ألعل الجميع أصحاب قوات ألعل للجميع مواهب شفاء ألعل الجميع يتكلمون بألسنة ، ألعل الجميع يترجمون » [١] .

خامساً : إن هذا التصور للحب يعتمد فى جزء منه على المكان والزمان :

فلا شك أن هذا التصور للحب هو تصور إلهى إنسانى عام ، لكن علينا ألا ننسى أن كل تصور يكون مرتبطاً جزئياً بالتجارب السابقة للجماعة ، وأيضاً بتفرد هذه الجماعة من الناحية الثقافية أو الحضارية ، فهناك سمات خاصة بكل حضارة تتفاعل معاً لصياغة الحب كعمل فنى مشترك وتختلف بشكل واسع من حضارة إلى أخرى ، فمثلاً يقف الحب على قمة تسلسل القيم فى الغرب الأمريكى يليه الصدق ثم العدل ، فالشرف والكرم والشجاعة ، وأخيراً الشهامة ، بينما فى الشرق العربى العكس فعلى قمة القيم تأتى الشهامة ، تليها الشجاعة، فالشرف ، فالكرامة ،وفى النهاية الحب . لذلك فتصور الحب عمل فنى مشترك ربما يعنى أشياء مختلفة جداً عند أى أوروبى عما يعنيه عند إنسان عربى يعيش فى الصحراء فى نفس الزمن . وليس ذلك فقط بل توجد فروق داخل الثقافة الواحدة ترتكز على اختلاف الناس فى نظرتهم إلى العمل والفن ، فمثلاً فى داخل الكنيسة الواحدة هناك من يحتقر الفن ويعتبره خطيئة، والبعض الآخر يحتقر العمل اليدوى فالشخص الذى لا يقيِّم العمل الفنى لذاته ينظر إليه كوهم وليس كحقيقة ، وهنا تكون تداعياته كيف يكون الحب فناً قابلاً للعرض ؟

---

١ - رسالة بولس الرسول الاولى إلى أهل كورنثوس ١٢ : ٢٨ - ٣١

أو موضوعاً للعرض ؟ وهل الحب وهم وخيال مثل الفن ؟ وأليس الفن نوع من الابتذال ؟ .. الخ . ولأن رأى هذا الشخص حول الفن هو رأى مختلف فإنه سيسند لهذا التصور معنى مختلفاً ، وبالتالى يصبح هذا التصور بالنسبة له بلا معنى ولن يضيف إلى تجاربه جديداً .

ونتيجة لكل ذلك علينا أن ندرك أن كلمات الكتاب المقدس ليست كلمات صماء لا تصلح إلا للوعظ والإرشاد ، لكنها كلمات حية تتفاعل مع واقعنا وتصوراتنا وتقوم تجاربنا السابقة ، وتقدم لنا حضارة جديدة (حضارة الإنجيل) والتى من خلالها نستطيع أن ندرك مفهوم الحب الحقيقى كعمل إبداعى مشترك ينقى مفاهيمنا وتجاربنا السابقة عن الحب كمرض أو جنون ، ويعطينا القدرة على إدراك معان جديدة لحياتنا ووضع أهداف لمستقبلنا ، فالحب بهذا التصور هو مسئولية علينا أن نتحملها . إنها مسئولية الإبداع والعمل الجماعى والتقيد والتخصص فى نفس الوقت . وعلى كل كنيسة تعيش فى ثقافة معينة أن تتخذ طريقاً أكثر مناسبة للتعامل مع بيئتها وذلك بأن تحدد دوافعها الاجتماعية فتعطى لكل من ينتمى إليها دوراً يعطيه معنى يعيش لأجله ويتمكن بمقتضاه من التفاعل اجتماعياً ، فهل تقوم كنيسة مصر بمثل هذا الدور وهى تعيش فى ثقافة عربية إسلامية ؟ إذا كان هذا هكذا فعلى الكنيسة أن تجيب على السؤال : ما هو المعنى الذى تقدمه الكنيسة لكل من ينتمى إليها ليتمكن بمقتضاه أن يتفاعل اجتماعياً ، فلا ينسحب من مجتمعه ولا يعيش على هامشه ولا يحيا بلا معنى لذاته وللآخرين من حوله ، وذلك من خلال الإبداع الناتج من : « اسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح وأسلم نفسه من أجلنا » .

الفصل الثامن

إبداع الاستعارات

تحدثنا من قبل عن الاستعارات المادية والاتجاهية والإبداعية ، وفى هذا الفصل سوف نحاول الحديث عن الإبداع فى هذه الاستعارات عندما نكتشف العلاقة بين كل استعارة وأخرى ونوعية التشابه والتنافر فى منظومات إبداعية للاستعارات .

فمثلاً عندما تحدثنا عن الاستعارات الاتجاهية قلنا إن : الخلاص فوق ،والسعادة فوق ، والوعى فوق . وهذا يجعل مثل هذه الاستعارات تتشابه معاً وتكون منظومة واحدة (من السعادة والخلاص والوعى) ، وكذلك نجد مشابهة بين الخطية واللاوعى والشقاء فجميعهم تحت فى منظومة واحدة ، ولذلك لا يمكن تصور علاقة مباشرة بين الخطية والسعادة أو الخلاص واللاوعى .. الخ .

وهنا نستطيع القول إن الخطية لا يمكن أن تحقق السعادة ، ذلك لأن الخطية فى منظومة ما هو تحت بينما السعادة فى منظومة ما هو فوق ، وكذلك لا يمكن أن يتحقق الخلاص للإنسان باللاوعى ، لأن الخلاص فى منظومة ما هو فوق بينما اللاوعى فى منظومة ما هو تحت وهكذا .

كذلك نجد تشابهاً فى الاستعارات المادية ، فعندما قلنا إن (المسيح مكان) وأن (الإيمان مجال رؤية) أى اتساع حقل الرؤية عند الإنسان ، هنا نجد تشابهاً بين المسيح والإيمان فكلاهما تحولا إلى أشياء مادية محددة ، وهنا يمكننا التعامل معهما بصورة واضحة ومحددة ، فالمسيح مكان والإيمان هو الذى يحدد مجال رؤيتنا لهذا

المكان مثل اتساعه وعمقه وتفصيلاته .. الخ . وهكذا نستطيع أن نعرف حدود إيماننا وكميته وكيفية التعامل مع شخص المسيح كمكان مريح نلجأ إليه ونعيش فيه وإلى أى مدى .. وهكذا .

وعندما نستخدم استعارة الكلمة غذاء (وجد كلامك فأكلته ، فكان لى للفرح ، اشتهوا اللبن العقلى .. الخ) ، نجد أن الخبرة الإنسانية التى نعيشها تقيم تشابهاً بين الكلمة المقدسة والغذاء ، فكلاهما يهضم ويجتر ويبلع ويلتهم ويتم تسخينه ثانية كما أن كليهما يغذينا ، وهذه المشابهات لا توجد مستقلة عن هذه الاستعارة ، فتصور اجترار الأفكار لا يوجد إلا بهذه الاستعارة ، وفى الحقيقة فإن استعارة الكلمة غذاء ترتكز على استعارات أخرى لها أصولها فى اللغة ، فهى ترتكز بشكل ما على استعارة المجرى والتى تحدثنا عنها سابقاً عندما قلنا إن الكلمة المقدسة هى مجرى لفكر إلهى يدخل إلى ذهن الإنسان المؤمن ويملأه مثلما تدخل جزئيات الأكل إلى الجسد الإنسانى وتشبعه ، وعلى هذه المشابهة الاستعارية بين الكلمة والغذاء تبنى جزئياً استعارة أن الفكر الإلهى غذاء ، وكما رأينا سابقاً فهذه المشابهة نفسها ناتجة عن استعارة « الكلمة مجرى لفكر » واستعارة « المؤمن وعاء » .

وكما رأينا سابقاً ، فإن للاستعارات تداعيات تسلط الضوء على بعض مظاهر اختباراتنا وتجعلها منسجمة معاً ، وقد تبدع الاستعارات بعض الحقائق الجديدة كما رأينا فى إبداع الاستعارات وبهذا ترشدنا لعمل مستقبلى نقوم به وهو ما قام به بولس عندما وجد نفسه وجهاً لوجه أمام إبليس الذى يحاول أن يحطم الكنيسة بطرق متعددة ومتنوعة فأعلن عليه الحرب الروحية بالقول : « أخيراً يا إخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته . البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس . فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات . من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير وبعد أن تتمموا

كل شئ أن تثبتوا . فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر . وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام . حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة . وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله . مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين . ولأجلى لكى يعطى لى كلام عند افتتاح فمى لأعلم جهاراً بسر الإنجيل . الذى لأجله أنا سفير فى سلاسل لكى أجاهر فيه كما يجب أن أتكلم »[1] . وقد ولَّدت استعارة الحرب هذه شبكة من التداعيات فقد كان هناك عدو « البسو سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة هذا العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات » . وهذه الحرب تمس أمن الكنيسة وتتطلب تحديد الأهداف (الثبات ضد المكايد والمقاومة والانتصار) ، وهذا يتطلب حشد قوى وإعادة تنظيم الأولويات داخل الكنيسة ونداء من أجل التجنيد والتضحية .وقد سلطت استعارة الحرب هذه الضوء على بعض الحقائق وأخفت حقائق أخرى ، وهكذا لم تكن الاستعارة مجرد وسيلة لفهم حقيقة العلاقة مع إبليس بشكل واقعى وعملى فقط ، ولكن فهمها بهذه الصورة سمح ببعض الاستنتاجات مثل أنه يوجد سلاطين وجنود أى يوجد جيش منظم ، وأن الحرب ضد هذا العدو يجب أن تكون من أولويات الكنيسة ، وأن على أعضاء الكنيسة أن يتعرفوا على أدوارهم ويتدربوا على أسلحتهم أى سلاح الله الكامل الذى يجب أن يلبسوا ويمارسوا الحرب به (منطقة الحق – درع البر – حذاء استعداد إنجيل السلام – ترس الإيمان – خوذة الخلاص – سيف الروح) : وعليهم أن يقدموا تضحيات ، وإذا لم يواجهوا هذه التهديدات بحسم فسوف يهلكون . هذه الاستعارة التى استخدمها بولس عن الحرب الروحية تعطى قوة ومقياساً لتحديد واقع الكنيسة ، وهى تقوم بذلك عبر شبكة من

١ – رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٦ : ١٠ – ٢٠ .

التداعيات تسلط الضوء على بعض سمات الواقع الكنسي، ويؤدى فهمنا لهذه الاستعارة إلى التركيز على تجربتنا ككنيسة محلية فى مصر والتى تضيئها هذه الاستعارة وتوضح جوانب الضعف والقوة فيها ، وهل تصدق كنيسة مصر أنها فى حرب مع إبليس وتتعامل مع الشر على هذا المستوى أم تقوم بمداهنته ، وهذا لا يتم بمجرد الكلام عن الانتصار ولكن باعتبار الواقع الذى تحدده الاستعارة ، فكثيراً ما يعلن قادة الكنيسة أن الكنيسة قد انتصرت على إبليس ، فهل هذا الادعاء صادق أم كاذب ؟ إن طرح السؤال ذاته يستلزم قبولنا للأجزاء الأساسية المكونة لهذه الاستعارة ، فإذا كانت الكنيسة تعتبر أن هذه الاستعارة مجرد خيال للاستهلاك المحلى والوعظ ودرس الكتاب لكنها لا تقبل بوجود عدو ولا تهديد ولا وجود لساحة معركة ولا وجود لأهداف أو قوات مقاتلة بشكل محدد وواضح ، فإنه فى هذه الحالة لن يكون لمسألة الصدق الموضوعى للاستعارة أى معنى . أما إذا نظرت الكنيسة لهذه الاستعارة باعتبارها تحدد بشكل صحيح الواقع ، وأدركت الأزمة التى تعيشها باعتبارها حرباً فإنها تستطيع أن تجيب عن السؤال المتعلق بمعرفة وتضامن التداعيات الاستعارية مع الواقع أم لا ، فإذا كانت الكنيسة قد حققت أعداداً متزايدة من المؤمنين خلال العشر سنوات الماضية واقتحمت أماكن جديدة وتوحدت معاً فى ترتيب ونظام واضح فإننا نستطيع أن نقول بأن الكنيسة قد انتصرت ، أما إذا تجمدت عند نقطة معينة فلن نكون موقنين من انتصارها .

والقضية هنا ليست فى صدق الاستعارة أو كذبها فهى حقيقة صادقة بالوحى المقدس ، لكن مدى إدراك الكنيسة لها وللاستنتاجات التى تستتبعها والأعمال التى تقرها فى كل تفاصيل حياتها اليومية بصرف النظر عن أى شئ آخر هى التى تحدد هل تصدق الكنيسة هذه الاستعارة أم تكذبها ولا تؤمن بها ، فمقياس تصديق الكنيسة وتصديقنا للاستعارة يحدد من خلال تصرفنا بموجبها ورسمنا لأهدافنا واستنتاجاتنا وتنفيذ مخططاتنا والقيام بتعهداتنا .. الخ .

ونحن نفعل كل هذا اعتماداً على البنية الشعورية واللاشعورية لاختبارنا انطلاقاً من تصديقنا لاستعارة بولس الرسول . وينطبق هذا أيضاً على المنظومة الاستعارية الأخرى التى أبدعها بولس الرسول عن الكنيسة كجسد المسيح ومدى صدقها أو تصديقها من خلال إدراك الكنيسة لها فى حياتها اليومية وذلك لأن تصديق الاستعارة سواء كانت استعارة أن الحياة الروحية حرب أو الكنيسة جسد المسيح من جانب الكنيسة وتطبيقها فى حياتها اليومية يؤدى إلى صدق هذه الاستعارة عند الآخرين الذين لا يؤمنون بالكلمة المقدسة ، والعكس صحيح .



لا شك أنه بمقدار ما تكون لدينا القدرة على فهم ذواتنا ، بمقدار ما تكون لنا القدرة على فهم الآخرين . ويوحى لنا الحس المشترك بأن فهم ذواتنا أيسر من فهم الآخرين ، وعلاوة على ذلك فنحن ننزع إلى الاعتقاد بأننا ننفذ مباشرة إلى أحاسيسنا وأفكارنا الخاصة بصورة أسرع وأعمق من نفاذنا إلى أحاسيس وأفكار الآخرين . ويبدو لنا أن الفهم الذاتى سابق على الفهم المتبادل ، وكما ينطبق هذا على الفرد ينطبق على الجماعة ككنيسة . إلا أن أى فهم حقيقى عميق لنا كأفراد أو كجماعة هو ما يدفعنا لأن نتصرف بالشكل الذى نتصرف به ونحس ما نحسه ونتغير بالشكل الذى نتغير به ، حتى أننا نعتقد ما نعتقده ، وكل هذا معاً يقودنا إلى ما وراء ذواتنا . فإن فهم ذواتنا ليس مختلفاً كثيراً عن أشكال أخرى من الفهم ، ففهم ذواتنا يأتى من تفاعلاتنا المستمرة مع الكلمة المقدسة التى نعيش عليها ومع مدى تطبيقها فى محيطنا المادى والثقافى ومستوى تفاعلنا مع باقى البشر ، وعلى الأقل فالمهارات التى يتطلبها الفهم المتبادل ضرورية حتى فى فهم الذات . ففى عملية الفهم المتبادل مع الجماعات الأخرى نبحث باستمرار عما هو مشترك فى التجربة الإنسانية ، فحين نتحدث معهم نبحث فى معانى الفهم الذاتى عن ما يوجد مشتركاً بين تجاربنا الخاصة المتنوعة وذلك بقصد إعطاء انسجام لحياتنا الجماعية . مثلما نجد فى البحث عن استعارات تسلط الضوء على ما نشترك فيه مع الآخر ونمنحه انسجاماً ،

فإننا نبحث عن استعارات شخصية وكتابية تسلط الضوء على ماضينا كجماعة الرب وأنشطتنا الحالية وأحلامنا وآمالنا وأهدافنا ونعطيها انسجاماً . إن جزءاً كبيراً من عملية فهمنا لذواتنا تأتى نتيجة البحث عن استعارات كتابية شخصية مناسبة تعطى معنى لحياتنا . والفهم الذاتى يتطلب حواراً وإعادة حوار مستمر بشأن معنى تجاربنا واختباراتنا فى أعيننا ، وكيف نسبغ معنى جديداً على تجارب سابقة ، فصيرورة الفهم الذاتى عبارة عن تطوير مستمر لقصص جديدة للحياة بالنسبة لأنفسنا .

ولكى نفهم ذواتنا كجماعة الرب التى تعيش هذا الزمن فى مصر علينا أن نقوم بما يلى :

١ - أن نعى الاستعارات الكتابية التى نحيا بها وإلى أى مدى ندخلها فى حياتنا اليومية .

٢ - أن نقيِّم تجاربنا واختباراتنا السابقة فى ضوء الاستعارات الكتابية (الحياة الروحية حرب ، الكنيسة جسد .. الخ) .

٣ - أن يكون لنا نوع من المرونة التجريبية فى تطبيق مثل هذه الاستعارات طبقاً للزمان والمكان ، فنحن نعيش فى دولة نامية وثقافة إسلامية كأقلية مسيحية نتحدث العربية .. الخ .

٤ - أن ننخرط فى صيرورة لانهائية بالنظر إلى حياتنا من خلال استعارات بديلة جديدة ومتجددة من الكلمة المقدسة .

وعندما نطبق هذه المبادئ الأربعة ، فسوف يبرز إلى الوجود لاهوت التغيير الذى طالما بحثنا عنه ، ذلك اللاهوت الذى ينبع من شرقيتنا ومصريتنا ويعطينا القدرة على التغيير من خلال الكلمة المقدسة التى تتجاوب مع كل عصر وكل حضارة .

وفى النهاية نقول إن الاستعارة ليست مسألة لغوية فحسب ، بل إنها ترتبط بالبنيان الخيالى للإنسان ، وهذا البنيان لا يرتبط بالفكر فحسب بل يتضمن كل

الأبعاد الطبيعية فى اختباراتنا بما فى ذلك المظاهر الحسية فى تجاربـــنا مثل اللون والهيئة والجوهر والصوت .. الخ . وهذه الأبعاد لا تبنى تجربتنا المحسوسة فحسب بل تبنى تجربتنا الجمالية أيضاً . إن كل نوع من الفن والفلسفة والإيمان ينتقى بعض أبعاد تجربتنا ويلغى البعض الآخر ، وكلها وسيلة لإبداع حقائق جديدة . وكل هذا يظهر فى تجاربنا اليومية كلما أدركنا شيئاً أو أبدعنا لأنفسنا استعارات تؤدى إلى انسجامات جديدة نطور بها حياتنا وإيماننا وعلاقاتنا بالآخر .

وحى الله و خيال الإنسان

يهدف هذا الكتاب

للتركيز على كيفية فهمنا لكلمة الله من خلال فكر متطور مرتكز على خيال الإنسان الذى استوحاه من خلال تجاربه وثقافته العميقة التى تجمعت من خلال حياته .

وإذا كانت كلمة الله قد تعرضت لتفسيرات مختلفة متناقضة ، فذلك ليس لأن كلمة الله غامضة أو صعبة ، ولكنها خضعت لتصورات الإنسان المحدودة فى فهم اللغة بمدلولاتها المختلفة والخلفيات التى كتبت فيها .

وهذا الكتاب يوضح لنا كيف يكون
إيجابى مستنير فى فهم كلمة الله ب
وبساطة .



١٠١٠٤٥٠٢

دار الثقافة